

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

محاضرات في تاريخ النظم الإسلامية

مذكرة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تاريخ وسيط

من إعداد الدكتور/رابح أولادضياف

السنة الجامعية 1436-1437 هـ / 2015-2016م.

مقدمة

يعد موضوع النظم الاسلامية من أهم المواضيع التي بحث فيها فقهاء الاسلام القدامى ولأهميتها لكونها مرتبطة ارتباطا وثيقا بأحكام التشريع الاسلامي على مستويات عدة ،فهي مناط مقاصد هذه الأحكام.

وقد كتب فيه كثير من الأئمة الأعلام كالإمام أبو الحسن علي الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية ،والعلامة عبد الرحمن بن خلدون ، وهناك طائفة أخرى قد كتبوا في جزئيات مختلفة من مواضيع النظم الاسلامية مثل أبي عمر الكندي(ت:350 هـ)وابن حجر العسقلاني (ت:853 هـ) ،فقد كتب كل منهما في القضاء ، وهناك من كتب عن الوزراء كالجهمياري(ت:331 هـ)الصابي (ت:448) وابن منجب الصيرفي(ت:542 هـ). وهناك من كتب في الشؤون المالية كالإمام أبو يوسف(ت:192 هـ) صاحب كتاب الخراج ، وابن سلام (ت:224 هـ) في كتابه الأموال، كما اهتم المعاصرون من المسلمين والمستشرقين بالتأليف في هذا المجال.

وذلك لأهمية هذه النظم حيث يسعى التشريع الاسلامي من خلالها إلى تحقيق الأمن والأمان في الدولة الاسلامية من خلال ما تضعه الدولة من الضوابط لتحقيق بها حماية الانسان في جميع شؤون حياته والتي تعرف عند علماء الاسلام بالمقاصد الشرعية ، وهي حماية الكليات الخمس المتمثلة في :حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل والمال والعرض.

كما يراد من خلالها أيضا تحقيق وبسط العدل ،حيث تسعى الحكومة الاسلامية إلى تحقيق العدل بين أفراد المجتمع المسلم لأنه إذا تم ذلك استقرت الدولة وزادت ثمرتها وإنتاجها، ويزداد العيش بركة ورغدا ،لأن هذه النظم تمتلك القوة ما لا تمتلكه النظم الوضعية ،لأنها تستمد قوتها من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهذا ما يجعلها تتميز بكونها:

- ربانية لأن مصدرها القرآن الكريم .

- وشاملة لأنها تشمل جميع جوانب حياة الانسان :العقيدة والعمل والأخلاق.
- المرونة أو البقاء والدوام أو الاستمرارية ،فلا يحدها زمان لأن مصادرها الأساسية دائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- معصومة لأن مصدرها الرباني يكسبها العصمة .
- لذلك فالكتابة في النظم الاسلامية ودراستها في مقررات المناهج الجامعية يعد من الأساسيات اللازمة لتكوين شخصية الفرد المسلم بما تتضمنه من اهداف سامية منها:
- معايشة قيم الاسلام ومبادئه ومفاهيمه وأحكامه وتشريعاته.
- ابراز موقف الاسلام من قضايا العصر في مجال النظم السياسية والإدارية والمالية والاقتصادية المتعلقة بنظم الحياة.
- اعطاء صورة واضحة وشاملة عن الحياة الاسلامية التي صنعتها رسالة الاسلام الشاملة في حياة الانسان وتحريره من الوثنية والخرافة.
- دفع الشبهات التي تثار حول العقيدة الشريعة من قبل المستشرقين المتحاملين على الاسلام وما جاء به.
- الوقوف على خصائص وميزات التشريع الاسلامي والنظم الاسلامية وتفوقها على النظم الوضعية.
- ولهذه الأسباب وأخرى أعدنا هذه المذكرة البيداغوجية ليهتدي بها طلبة الماستر تخصص التاريخ الوسيط ، والتي تعد بمثابة المفاتيح أو المدخل الذي ينطلق الطالب من خلاله لمعرفة ودراسة نظم الاسلام في مجالاته المختلفة ، وقد عالجتنا من خلال هذه المذكرة بعض أهم مواضيع النظم الاسلامية ،حيث اخترنا أهم مواضيعها في المجال السياسي والاقتصادي والإداري والاجتماعي،فاحين المجال أمام الطلبة للبحث والتعمق في الجوانب الأخرى.

الخلافة:

1-تعريف الخلافة:

أ-**الخلافة في اللغة:** هي مصدر (خلف) يقال خلفه خلافة وكان خليفته وبقي بعده ، والخليفة هو السلطان الأعظم ، وجمعها خلائف وخلفاء ، والخلافة موضوعة ليكون الشخص خلفا لآخر لذلك سمي من يخلف الرسول صلى الله عليه وسلم في تنفيذ الأحكام الشرعية خليفة ، فيقال خليفة رسول الله ، واختلف في تسميته خليفة الله فأجازه بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي للأدبيين في قوله تعالى:(إني جاعل في الأرض خليفة¹) وقوله : (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض)².

وقد نهى أبو بكر على أن ينادي عليه ب(خليفة الله)، واعتبر نفسه خليفة النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن الأصل في الاستخلاف أن يستخلف الحاضر الغائب.

ب-أما الخلافة في الاصطلاح:

فقد عرفها ابن خلدونبقوله(والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الآخريه والدينيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ،فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا)³.

وعرفها بعضهم على أنها رئاسة في الدين نيابة عن رسول الله وأن منزلة الخليفة من الأمة كمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم من المؤمنين له عليهم الولاية العامة وحق الطاعة والقيام على دينهم وهو الذي يقيم فيهم حدوده وينفذ شرائعه فكل ولاية مستمدة

1 - سورة البقرة الآية 30.

2 - سورة الأنعام الآية 165.

3 - ابن خلدون المقدمة ،ص 239.

منه وكل خطة دينية أو دنيوية متفرعة عن منصبه ، فهو الحاكم بالسلطتين الدينية والدنيوية¹.

2- الخلافة عند الأحزاب والفرق الإسلامية:

بعد أن تبلورت الأوضاع السياسية في الدولة الإسلامية أدى ذلك إلى انقسام المسلمين إلى أحزاب و فرق بعضها اصطبغ بالصبغة السياسية وبعضها الآخر جمع بين المبادئ السياسية والدينية وأصبح لكل حزب آراء ونظرة خاصة به مختلفة عن آراء الأحزاب والفرق الأخرى ويمكن إجمالها في مايلي:

أ- المهاجرون والأنصار:

مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوص بالخلافة لأحد ، فبعد وفاته انقسم المسلمون حول أمر الخلافة إلى قسمين ، منهم من كان يرى ضرورة أن تكون الخلافة في قريش فهم قوم النبي صلى الله عليه وسلم وهي محل التقدير والاحترام من جميع قبائل العرب فالكل يدين لها بالريادة والسيادة ، كما أن المهاجرين هم أول من احتضن الدعوة الإسلامية واستجابوا لدعوة التوحيد وصدقوا النبي عليه السلام ، وبذلوا في سبيل ذلك النفس والمال والولد ، وتحملوا الأذى والاضطهاد دون أن يصرفهم ذلك عن الايمان ، وتركوا أموالهم وديارهم ، لذلك كان رأيهم أن لا تتصرف الخلافة إلى غيرهم².

أما الأنصار فقد كان رأيهم على غير ذلك ، فقد رأوا أنفسهم أحق بالخلافة من المهاجرين ، وانبى رأيهم من حيث أحقيتهم بها أنهم هم الذين آووا ونصروا الرسول

¹ - الخربوطلي، غروب الخلافة الإسلامية، ص3. جورجى زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، ص127. حسن

ابراهيم ، النظم الإسلامية ، ص2.

² - السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص 6. الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية ، ص3. حسن ابراهيم ، النظم الإسلامية

، ص7-8.

صلى الله عليه وسلم وأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الاسلام والإيمان واستقبلوه بينهم في المدينة وبايعوه على المنشط والمكره ، كما آووا المهاجرين وشاركوهم أموالهم وأرضهم ، وانتصرت الدعوة بإسلامهم¹.

ب - رأي الشيعة في الخلافة:

يرى الشيعة أن الخلافة لا تكون بالشورى و إنما تكون بالوصية من نبي معصوم إلى إمام معصوم، ويرون بأن علي بن أبي طالب وأولاده من بعده هم أحق الناس بالخلافة من دون المسلمين يتولونها بالوراثة ، ويجعلون للخليفة صفات دينية فهو مستودع العلم الشرعي ولا يفوق علمه أحد من البشر وهو وحده الذي يحوز الفهم المطلق للقرآن الكريم والسنة النبوية وله الحق في تفسيريهما ولقبوه بلقب الامام ، وقد سلكوا في تقديس الأئمة مبلغ الغلو فجعلوهم في مرتبة فوق البشر والأنبياء².

بدأ فكر التشيع بالمطالبة بحق علي رضي الله عنه في الخلافة ثم تطور إلى اعتباره الوصي والولي فقالوا : (ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة ، وينتصب الامام بنصبهم ، بل هي قضية أصولية ، وهي ركن من الدين لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة ، ويجمع القوم بوجوب التعيين والتخصيص ، وبوجوب عصمة الأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر)³.

ج - الخوارج:

يرى الخوارج أن تكون الخلافة شورى بين المسلمين ولا يقولون بأنها تكون في قريش ، ويرون صحة خلافة ابي بكر وعمر لأنها كانت بالانتخاب وقالوا بصحة خلافة عثمان في سنيته الأولى وأقروا بصحة خلافة علي قبل التحكيم وقالوا بأنه أخطأ في

¹ - الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص14.

² - نفسه ، ص15.

³ - الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج1، ص234.

التحكيم وحكموا عليه بالكفر كما كفروا طلحة والزبير وعائشة والحكمين ثم تبلورت آراؤهم السياسية بعد ذلك فوضعوا أسسا لاختيار الخليفة (فجوزا أن تكون الإمامة في غير قريش وكل من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتتاب الجور كان إماما ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه ، وأنه إن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله وهم أشد الناس قولا بالقياس وجوزوا الا يكون في العالم إمام أصلا وإن أحتج إليه فيجوز أن يكون عبدا أو حرا أو نبطيا قرشيا)¹.

ويبدو وضوح النزعة القبلية في فكر الخوارج ومبادئهم السياسية ، فقد بدى جليا سخطهم على قريش بسبب استنثارهم بالخلافة ، فلما رفضوا التحكيم رفضوا خلافة علي ومن ثم انتزاع الخلافة من قريش ، ورأوا ان تعقد الخلافة لأفضل أبناء الأمة عن طريق الاختيار المطلق والحر حتى ولو كانت لعبد حبشي وتفضيله عن اعتبار الحسب والنسب ، لذلك فهم لم يعترفوا لقريش بالريادة والسيادة وتبعية العرب لهم ، واعتبروا حديث (الأئمة من قريش) حديثا مكذوبا لا حجة به ، وكانت معارضة هذا النص منذ بيعة السقيفة ثم سكنت هذه المعارضة طوال فترة الخلفاء الأربعة².

وكان أساس الفكر السياسي للخوارج أن تكون الخلافة شورى بين المسلمين وأساس ذلك ما دعا إليها القرآن الكريم وأقرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما جعل الشورى أساس اختيار الخليفة من بعده³.

ويختلف الخوارج مع السنة في كون الخلافة في قريش ، ويختلفون مع الشيعة في كونها في بيت الرسول صلى الله عليه و سلم، وقد عدل الخوارج في آرائهم وأضافوا

1 - نفسه، ج1، ص174.

2- الخربوطلي، المرجع السابق، ص15.

3 - الخربوطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص63.

لها مبادئ أخرى فيرون أن الخليفة مرغم على قبول الخلافة ولا يحق له النزول عنها ، وإن حاد عن الحق وبذل سيرته وجب عزله ولو اقتضى قتله، الأمر الذي دعا البعض إلى القول بأنه المبدأ الذي حمل الثوار على قتل عثمان عندما شغبوا عليه ورأوا بأنه قد غير وبدل¹.

وقد ذهب الخوارج إلى القول بالاستغناء عن الخلافة إذا منعت الظروف قيامها أو لم تتوفر الشروط التي وضعوها لاختيار الخليفة لأن الناس يتوازعون ويتكافئون باحتياج بعضهم إلى بعض واشتباك علاقاتهم ففي ذلك ما يكفي لردهم عن الظلم وصددهم عن الجور وعدم الانصاف ، وقد أعاب عليهم ابن عبد ربه بقوله معلقا على هذا الرأي عند الخوارج (إنما مذهبهم أن لا يكون أمير ، ولا بد من أمير برا كان أو فاجرا)².

د - المرجئة:

تأخر ظهور هذه الفرقة عن فرقتي الشيعة والخوارج بعد أن اشتد النزاع بينهما حول الخلافة والخلفاء ، فالخوارج يكفرون عليا وعثمان والحكمين ، والشيعة تكفر أبا بكر وعمر وعثمان وكلا الفرقتين يكفر الأمويين ، بينما المرجئة لها رؤية مختلفة عن كلا الفرقتين من حيث التكفير حيث تثبت الإيمان للجميع فترى بأن الشيعة والخوارج والأمويين كلهم مؤمن ومصداق لكن بعضهم مخطئ وبعضهم على حق ، إلا أنه من الصعب تبيان ذلك ولذا يرجئون أمر الفصل في ذلك إلى يوم القيامة³.

وتتفق فرقة المرجئة مع الشيعة الزيدية في وجوب أن يكون الإمام قرشي النسب مع وجود بعض الاختلافات في الأمر، فأراء المرجئة متساهلة لا تفضل الفصل في

1 - الخربوطلي ، الحضارة العربية ، ص 16.

2 - ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج2، ص388. ابن نشوان ، الحور العين ، ص150.

3 - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص166.

أمور الحكم والسياسة وحتى في بعض أمور العقيدة ، كما أن المرجئة تعترف بشرعية الحكم الأموي على خلاف الفرق الأخرى كالشيعة والخوارج.

هـ - المعتزلة:

الأصل في الفكر الاعتزالي أنه تأسس على قضايا الدين والاعتقاد في بداية الأمر ،دون أن يخوض في أمور الحكم والسياسة على عكس ما كان عليه الشيعة والخوارج والمرجئة ، لكن هذه الفرق ما لبثت وأن ولغت في القضايا السياسية غيرها من الفرق الأخرى ، ومن أبرز المسائل السياسية التي تكلم فيها الخوارج الخلافة أو الإمامة العظمى ،وقد أبدت المعتزلة نوعا من التجانس في أفكارها في هذا الأمر مع الخوارج ، فقد قال المعتزلة بضرورة أن يؤول الأمر إلى المسلمين لاختيار الخليفة ، وقد دقق المسعودي في صياغة رأي الخوارج حول مسألة الخلافة بقوله(يذهب المعتزلة إلى أن الإمامة اختيار من الأمة، وذلك أن الله عز وجل لم ينصص على رجل بعينه ، وأن اختيار ذلك مفوض إلى الأمة تختار رجلا منها ينفذ فيها أحكامه، سواء كان قرشيا أو غيره من أهل ملة الاسلام وأهل العدالة والإيمان ، ولم يراعوا في ذلك النسب ولا غيره وواجب على أهل كل عصر أن يفعلوا ذلك)¹.

3- شروط الخلافة:

يشترط في من يتولى الخلافة على الأمة الانتخاب ببيعتها ورضاها ، وأن يكون جامعا للصفات المطلوبة وهي:

- العلم: المفضي إلى الاجتهاد في النوازل ومعرفة الأحكام .
- والعدالة :وهي السلامة في الدين والأخلاق متجنباً للمعاصي .

¹ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج3، ص15.

- والكفاية :وهي أن يكون قادرا على اقامة الحدود بصيرا بالحروب كفيلا بحمل الناس عليها، صاحب رأي وتدبير والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير مصالح الناس بحكمة وحسن تدبير .

-وسلامة الحواس والأعضاء: مما يتعلق بالعقل والعمل ،وقد اختلف في شرط النسب القرشي من حيث وجوده ومن حيث هل شرط وجوب أم شرط تحسيني¹.

4- ألقاب الخليفة:

تلقب الخلفاء في الإسلام بثلاثة ألقاب : (الخليفة) و (أمير المؤمنين) و (الإمام) أما الخليفة فقد ورد في القرآن الكريم عدة مرات وبمعان متباينة إلا أنه لم يرد بالمعنى السياسي ، وأول من تلقب بهذا اللقب الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يطلق عليه (خليفة رسول الله) ، فلما جاءت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنودي عليه بـ(خليفة خليفة رسول الله) فاستثقلوا ذلك فاستعملوا لقب إمارة المؤمنين فاستعملوا لقب (أمير المؤمنين) فكان عمر أول خلفاء الاسلام من تلقب بذلك.

أما لقب (الإمام) فقد وردت في القرآن الكريم وفي مرويات السنة النبوية وكانت تعني ما يعنيه لقب (الخليفة) وهو متداول عند السنة والشيعة إلا أنه عند الشيعة أكثر استعمالا فاطلقوه على أئمتهم من أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

5- علامات الخلافة وشاراتها:

وهي البردة والخاتم والقضيب أما:

أ- البردة:

¹ - الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، ص 18 .حسن الحاج حسن ، النظم، ص159.

وهي بردة النبي عليه الصلاة والسلام التي وهبها للشاعر كعب بن زهير بن أبي سلمى الذي تاب وندم عن هجاء النبي صلى الله عليه وسلم، وظلت هذه البردة في عقب كعب بن زهير إلى أن اشتراها منهم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بأربعين ألف درهم ثم توارثها الخلفاء من بني أمية وبني العباس¹.

ب- الخاتم:

اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم الخاتم لما قيل له عندما كتب الى ملوك وأمراء العالم أن العجم لا يقبلون كتابا إلا أن يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة نقش عليه (محمد رسول الله) ، وروي أن هذا الخاتم ظل متداولاً في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وفي عهد عثمان وقع في بئر (إريس) ولم يعثر عليه بعد ذلك ، وأساء المسلمين فقده فكان نذيراً بذهاب خلافة الشورى فصنع عثمان خاتماً مثله ، وكان كل من ولي الخلافة بعده يصنع خاتماً لختم الكتب في أسفل الكتابة وفي أعلاها بالطين أو المداد أو الشمع بعد طيها وظل الأمر كذلك الى نهاية العصر العباسي ، وقد ذكر البلاذري في فتوح البلدان أن زياد بن أبيه هو أول من اتخذ من العرب ديوان زمام وخاتم ، فجعل عدة خواتم منها خاتم للسر وخاتم الرسل وخاتم السجلات و الاقطاعات وخاتم الخراج².

ج- القضيب :

كان خلفاء الملك إذا تولى أحدهم الخلافة جاؤوه بالبردة والخاتم والقضيب وظل الأمر سائدا طيلة فترة حكم الأمويين والعباسيين .وهي العلامات السائدة للخلافة في ذلك العصر .

أما الشارات فهي ثلاث كذلك:

¹ - جورجى زيدان ، التمدن الإسلامى، ج1، ص129.

² - ابن خلدون، المقدمة ، ص240.جورجى زيدان ، التمدن، ج1، ص130.

أ- **الخطبة:** حيث كان يدعى للخلفاء على المنابر ، وكانوا يتولون الصلاة بعد اختتامهم فروض الصلاة يدعون للنبي صلى الله عليه وسلم وللصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، ولما توسعت رقعة الدولة بفعل حركة الفتوح الاسلامية واتخذوا عمالا ومعاونين وولاة فصار أولئك الولاة ينوبون عنهم في الصلاة ويختمونها بالدعاء للخلفاء¹.

ب- **السكة:** ومن شارات الخلافة نقش أسماء الخلفاء على السكة (العملة) .

ج- **الطرز:** حرص الخلفاء الأمويون ثم العباسيون على رسم أسماءهم أو علامات مميزة على أثوابهم وعلى ثياب كبار رجالهم وجنودهم.

¹ - حسن الحاج حسن، النظم ، ص164.

الوزارة

1- معنى الوزارة:

ورد في أدب الوزير للإمام الماوردي¹ أن الوزارة لفظة مشتقة من معناها وقد اختلف في ذلك على ثلاثة أوجه:

- أ- أنها جاءت من الوزر وهو الثقل لأن الوزير يحمل أثقال الملوك عن الملك.
- ب- من الوزر وهو الملجأ وهو يوافق ما جاء في القرآن (كلا لا وزر)² أي لا ملجأ، لأن الملك يلجأ إلى رأي الوزير للاستعانة به.
- ج- من الأزر وهو الظهر لأن الملك يقوى بتدبير وزيره كقوة البدن بالظهر.

وقد وردت لفظة الوزير في القرآن الكريم في موضعين :

- أ- في سورة طه عندما سأل موسى الله تعالى (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري)³.

فالوزير هنا بمعنى النصير الذي الذي يحمل الأعباء عن أخيه ، وإذا تتبعنا لفظ الوزير في المصادر وجدناه يتعدى مهمة الاستشارة إلى مهمة فعلية التي يستطيع من خلالها التصرف في شؤون الدولة، ومثال ذلك ما جاء في رسالة بعث بها محمد بن الحنفية إلى مالك بن الأشتر النخعي ورد فيها (أما بعد، فإنني بعثت إليكم بوزير وأميني ونجبي الذي ارتضيته لنفسه، وقد أمرته بقتال عدوي، والطلب بدماء أهل بيتي، فانهض معه بنفسك، وعشيرتك ، ومن أطاعك)⁴، وكلمة الوزير هنا تعني المندوب

¹ - أبو الحسن علي الماوردي، أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط2، 1994، ص9.

² - سورة القيامة الآية 11.

³ - سورة طه الآية 29-32.

⁴ - محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1047هـ، ج3، ص438.

المطلق الصلاحية وهو ممثل الامام واجب الطاعة في الأمور كلها¹.
وجاء في اللسان لفظ الوزير بمعنى حبا الملك الذي يحمل أثقال الملك عنه ويعينه برأيه، والحبأ جليس الملك وخاصته².
وجاء معنى الوزير في دائرة المعارف الاسلامية الحاكم أو المقرر، وقد رجح أحمد أمين أن أصلها عربي ومعناه الأمر أو التقدير³.
قال ابن خلدون (إن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمرا ثقيلًا فلا بد من الاستعانة بأبناء جنسه، وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنة فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه من خلقه وعباده وهو محتاج إلى حماية الكافة من عدوهم بالمدافعة عنهم)⁴.

2- نشأة الوزارة:

تعد الوزارة من أهم الشؤون السياسية والإدارية في الدولة الاسلامية، لذلك تأتي بعد الخلافة من حيث الأهمية، لهذا فمنصب الوزير يعد من الأهمية بمكان في تدبير شؤون الدولة ومن خلاله يطلع الخليفة على أحوال الرعية⁵.
واعتمادا على ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية فالوزارة مشروعة في الاسلام، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب المشورة من الصحابة رضوان الله عليهم، وربما كان يخص أبا بكر أحيانا في التشاور لذا كان ينظر إليه بعض الصحابة كالوزير للنبي عليه الصلاة والسلام⁶.

¹ - حسين الحاج حسن، النظم الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1987م، ص 174.

² - نفسه.

³ - أحمد أمين، ضحى الإسلام ج 1، ص 172.

⁴ - ابن خلدون، المقدمة، ص 364.

⁵ - إبراهيم ياسين وآخرون، النظم الإسلامية، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989، ص 46.

⁶ حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 113.

كما كان عمر من أكثر معاونين لأبي بكر فكان يقوم بالقضاء وتوزيع الزكاة حتى عد بمثابة الوزير له، و كان عثمان وعلي بمثابة وزيران لعمر ،فكان يستشير برأيهما، فكان علي يقوم بكتابة الرسائل والنظر في أمور الأسرى وفداء أسرى المسلمين ،وكذلك كان رضي الله عنه وزيرا لعثمان دون أن يتسموا بالوزراء ،لما امتازوا به من البساطة في جميع المظاهر والتزامهم بخدمة الرعية¹ ، وربما لعدم معرفة العرب بلفظ الوزارة في ذلك الوقت لبساطة الدولة وبعدها عن أبهة الملك².

بعد انتقال الخلافة الإسلامية إلى بني أمية وتحولها من الشورى إلى الملك تعتمد على السياسة والتدبير مما جعلهم في حاجة إلى المشورة والاستعانة في شؤون القبائل وتدبير وأمر الدولة المختلفة لما صارت عليه من التوسع إذا ما قورنت بدولة الخلافة الراشدة فاستخدموا أناسا يقومون بعمل الوزراء دون تسميتهم بالوزراء من أمثال زياد بن أبيه وعمرو بن العاص الذين يعتبرهما بعض المؤرخين كوزيرين لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه³.

ويذكر المسعودي عن امتناعهم عن تسميتهم بالوزراء أن بني أمية كانوا ينكرون أن يخاطب كاتب بالوزير لأنهم يرون أن الوزير مشتق من المؤازرة والخليفة أجل من يحتاج إلى المؤازرة⁴.

أما الوزارة في العصر العباسي فقد اتخذ العباسيون الوزارة محاكاة للفرس وقد ظهرت مبكرا بمجرد استخلاص الخلافة من الأمويين وأول من تسمى بلقب الوزير أبو سلمة الخلال المعروف بوزير آل محمد أيام الدعوة العباسية فلما أخذ السفاح

¹ - عبد العزيز الدوري ، النظم الإسلامية ، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ، 2008، ص 134.

² - إبراهيم ياسين وآخران ،المرجع السابق، ص 44.

³ -أنور الرفاعي،النظم الإسلامية ،دار الفكر ،ص52.

⁴ - المسعودي، تنبيه الأشراف، ج1،ص94.

البيعة بالخلافة أقر في منصب الوزارة ، ولم يكن يمارس صلاحياته كاملة كوزير في جميع الدواوين فلم يكن ديوان الخراج والجند تحت سلطته بل كان تحت تصرف خالد بن برمك مع أهميتهما¹.

إلا أن ذلك لم يشفع لأبي سلمة خلال فسرعان ما انقلب عليه السفاح وأغتاله وعين أبو الجهم خلفا له ، ثم استوزر خالد بن برمك صانع مجد البرامكة فكان يعمل عمل الوزراء لكنه لم يتسم بالوزير رغم ما كان يحظى به عند الخلفاء².

وجاء في الفخري في الاداب السلطانية أن السفاح قال لخالد بن برمك : يا خالد ما رضيت حتى استخدمتني ففرع الوزير وقال:كيف يا أمير المؤمنين وأنا عبدك وخادمك ، فضحك الخليفة و قال : ان ربطة ابنتي تنام مع ابنتك في مكان واحد ، فأقوم بالليل فأجدهما وقد سرح الغطاء عنهما فارده عليهما فقبل خالد يد السفاح وقال : مولاي يكتسب الأجر في عبده وأمته³.

ويبدو أن سلطة الوزير في أوائل عصر الدولة العباسية لم تكن محددة وواضحة وهذا ما يفسر سبب تصادم سلطة الخليفة مع سلطة الوزير ، لذلك لا نجد وزيرا دائما في العصر العباسي فتعدد المنصب بين الوزراء والكتاب وأغلب الذين شغلوا منصب الوزارة من الموالي متقدمين عن العرب وذلك لتجربتهم في الكتابة والإدارة لذا قال الوزير المرياني:

(ليس شيء إلا نظرت فيه إلا الفقه، وقد نظرت في الكيمياء والطب والنجوم والحساب وحتى السحر)⁴.

1 - حسن الحاج حسن ، المرجع السابق،ص 171.

2 - إبراهيم ياسين وآخران ،المرجع السابق، ص 46.

3 - الفخري في الآداب السلطانية ،ج1،ص154.

4 -الجهشياري الوزراء والكتاب ،ص97.

وسار نظام الوزارة نحو الرسوخ في عهد الخليفة الرشيد ،ويرجع سبب ذلك إلى ثقته بالبرامكة ،فقد استوزر يحيى البرمكي ففوض إليه سلطات واسعة بأن أصبحت كل الدواوين بما فيها ديوان الخاتم فجعلها تحت سلطته سنة 171 هـ فاجتمعت له الوزارتان على حد قول الطبري ، فصار له التوقيع على ما يصدر من ديوان الخراج من كتب وقد كانت تصدر عن الخليفة شخصياً¹.

¹ - الطبري ج8ص239، الدوري ص192.

الحجابه

1- معنى الحجابه:

تعد الحجابه من الخطط الهامة التي تعد من أهم مقومات الإدارة في الدولة الإسلامية، يرى نظام الملك الطوسي أن الحاجب أعظم وظائف البلاط وأكثرها أبهة إذ يقول (إذا لم يكن في البلاط أعظم وأكثر أبهة بعد الأمير الحاجب العظيم من أمير الحرس)¹.

ويقول الحضرمي في شأنها (كان الحاجب عند الخلفاء الماضين والملوك المتقدمين رتبة الوزارة ومتجاوز القدر للتوسط في الجلالة)².

والحجابه في اللغة من الحجاب وهو الستر وهو ويطلق في الغالب على كل ما احتجب به ، وكل ما حال بين شيئين ، والحجاب اسم فاعل من الحجب وهو المنع من الدخول ، والحاجب هو من يقف عند الباب للإذن بالدخول أو المنع منه وجمعه حجة وحجاب ، وخطته الحجابه³.

أما المعنى الاصطلاحي للحجابه فقد تغير من زمن إلى آخر ، كما أن المصطلح كان معروفا ومتداولاً عند عرب ما قبل الإسلام ، ففي مكة اقترن معنى الحجابه بسدانة الكعبة وحراستها وحفظ مفتاحها ، وقد خص بهذا الفضل والشرف قصي بن كلاب أكبر أبنائه عبد الدار، وقد ظل هذا الأمر في عقب عبد الدار إلى عام فتح مكة السنة الثامنة من الهجرة، فأخذ منهم النبي صلى الله عليه وسلم المفتاح لما دخل إلى الكعبة ، ثم ما لبث أن أعاد إليهم المفتاح ورد الحجابه فيهم

1 - الحضرمي ، السياسة ، ص 84.

2 - نظام الملك، سياست نامه، ص177.

3 - ابن منظور، لسان العرب ج 1 ، مادة حجب ،، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص251.

استجابة وامتنالا لقول الله تعالى "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل"¹ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم "اعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة لا ينزعها من أيديكم إلا ظالم"².

وقد ظلت حجابة الكعبة قائمة حتى العصر الاسلامي ، ومع ذلك عرفت الدولة الاسلامية نوعا مغايرا من الحجابة لا يكون إلا في الدول ، وهذا النوع في أبسط صورة إذ اقتصر على حفظ باب الامام والاستئذان عليه أو كما عرفها القلقشندي بقوله عن الحاجب(هو في أصل الوضع عن يبلغ الأخبار من الرعية الى الامام ويأخذ الاذن منه)³.

ويذكر ابن خلدون عن مهمة الحاجب (أن يحتجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم ويفتحه لهم ، ويفتحه لهم على قدره في مواقيته ، وأما في دولة بني أمية بالأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم)⁴.

2-الرأي في الحجابة:

اختلفت آراء فقهاء الاسلام في أمر الحجابة فمنهم من قال بالجواز ومنهم من قال بالمنع :

- القائلين بالنهي: يرون في قيام الحجابة اضرار بالدولة وإطلاق لأيدي العمال في شؤون العامة فيظلمونهم إما بتعطيل المصالح أو التجاوز بالظلم ، كما يرون في الاحتجاب ضياع الأشغال وإبعاد للإخوان ومفسدة للرعية وتجعل الحجاب محل

1 - سورة النساء الآية 85.

2 - فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، 19/8.

3 - القلقشندي، صبح الاعشى ، ج5، ص449.

4 - المقدمة ج1، ص98.

التهمة ، وممكنة لمن يريد الخلاف عليه من الفرصة¹.

وقد اعتمد أولئك الناهين على أحاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ينهى فيها عن الاحتجاب منها قوله (ما من إمام أو وال يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة الا أغلق الله أبواب السماء دون حاجته وخلته ومسكنته)² وروي عنه أيضا قوله(من ولي من أمور المسلمين شيئا فاحتجب عن حاجتهم احتجب الله عنه يوم القيامة وعن حاجته وخلته وفاقته) وقوله (أيها الناس من ولي منكم عملا فحجب بابه عن ذوي حاجة من المسلمين حجب الله أن يلج الى باب الجنة).

كما اعتمدوا على آثار رويت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان اذا استعمل عاملا اشترط عليه اربعا منها الا يتخذ حاجبا كما روي أنه قال :إياكم والحجاب واطهروا أمركم بالبراز . كما ذكر أنه كتب الى معاوية بن أبي سفيان عامله على الشام " إياك والاحتجاب دون الناس وأذن للضعيف وأدنه حتى ينبسط لسانه ويجترئ قلبه وتعهده الغريب فانه إذا طال حبسه وضاق إذنه ترك حقه وضعف قلبه". أما المجوزون لها يرون في جوازها أن الحجة والظهور الزائد ينبغي أن يكون في حد التوسط والاعتدال من غير افراط ولا تقريط فلا ينبغي الاحتجاب التام ولا الظهور الزائد لأن ذلك مذهب للهيبة ومظنة لأن يتجرأ عليه الناس ومدعاة إلى كثرة المسألة كما أن الاحتجاب المبالغ فيه يعطل مصالح الناس وسبب لمن يريد الخلاف والانتقاد.

وقد فهموا من نصوص المنع السالفة الذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما نهيه يحمل على الاحتجاب التام الذي تتعطل به المصالح ويمنع ذوي الحاجات عن الاتصال بأولي الأمر.

¹ - ابن الجوزي، الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، ص67.

² - ابن الجوزي، المصدر السابق، ص68.

والظاهر أن الراجح في المسألة رأي القائلين بالجواز لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من أمور المسلمين انشغل بأمور أهله وضرب الحجاب بينه وبين الناس واتخذ رجلا من المسلمين يحفظ بابه فلا يدخل عليه أحد إلا بإذنه، فإذا فرغ من ذلك رفع الحجاب الذي كان بينه وبين الناس¹.

وقد جاء في الأثر الصحيح ما يفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتجب فلا يدخل عليه أحد إلا بإذنه حيث روي عن ابن مسعود أنه قال: قال لي رسول الله "أذنك على أن يرفع الحجاب وأن تسمع سوادي حتى أنهاك"².

كما روي أن عمر بن الخطاب كان قد طلب أبا موسى الأشعري فلما جاءه واستأذن عليه ثلاثا فلم يؤذن له فانصرف فأمر عمر برده وسأله ما ردك فقال أبو موسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الاستئذان ثلاثا فان أذن لك وإلا فارجع فطلب عمر من ابي موسى بينة على صحة الحديث وكان قد توعدده إن لم يأت بها ،فأتى أبو موسى مجلسا من الأنصار لعله يعثر على أحد قد سمع الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم ،فوجد من سمعه وشهد له بصحته عند عمر³، وغيرها من الآثار الدالة على ذلك.

3-نشأة الحجابة:

يبدو أن ارهاصات نشأة الحجابة يرجع الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم مثلما تقدم من حيث ضرب الحجاب بينه وبين الناس إذا ما تفرغ من شؤونهم وانصرف لشأنه هو وشأن أهل بيته ، لكن ظهور الحجابة كخطة راتبة في الدولة الاسلامية يرجع الى ظروف معينة مرت بها الدولة ،فقد كان الخلفاء الراشدون غر

1 - أحمد رمضان ،الخلافة في الحضارة الإسلامية، ص191.

2 - صحيح مسلم باب جعل الاذن رفع الحجاب.

3 - صحيح البخاري ، باب الاستئذان ، وصحيح مسلم باب الاستئذان والسلام .

محتاجين الى اتخاذ الحجاب لبساسة فترتهم وامتزاجهم بالناس.

فلم يمنعوا أحدا من الدخول عليهم في أغلب أوقاتهم ، فلما جاء عصر الملك ببهرجته فاصبح أمر الحجابة ملازما له فضلا عن ظهور المعارضين والخارجين عن سلطة الدولة مثل الخوارج وتهديدهم لحياة الخلفاء ، فلما تولى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الخلافة كان مضطرا لأن يتخذ حجابا بعد حادثة الخوارج مع علي وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ، فاصبحت التصفية الجسدية من المخاطر المحدقة بالخلفاء وازدحام الناس على بابه قد يؤدي الى اغتياله¹.

ويرجع كذلك اهتمام معاوية رضي الله عنه بأمر الحجابة لما عرف عنه من ابتكار أشياء في الدولة الاسلامية فكان أول من وضع الحشم للملوك ورفع الحراب بين أيديهم ووضع المقصورة التي يصلي الملك أو الخليفة بها في الجامع منفردا عن الناس²، كما أن معاوية قد تعرف من خلال ولايته على بلاد الشام المحاذية للبيزنطيين على نظمهم المختلفة ، فكان من النظم التي أخذها عن الفرس والروم ان احتجب عن الناس قبل الخلافة وبعدها³.

بالإضافة للأسباب السابقة فإن ترصد الخوارج له كان من الاسباب التي دعتة الى ذلك سيما بعد أن تأمروا عليه وعلى علي وعمرو بن العاص، فكان احتجاج معاوية من باب الاحتياط لذلك اتخذ الحرس والحجاب⁴.

وقد أجمل ابن خلدون القول عن تطور الحجابة فقال " فلما انقلبت الخلافة الى الملك وجاءت رسوم السلطان وألقابه ، كان أول شيء بدء به في الدولة شأن الباب وسده

1 - اليعقوبي، ج2، ص271.

2 - ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص106.

3 - أكرم ديرانية، المرجع السابق ، ص119.

4 - حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق ، 62. السيد سالم ، العصر العباسي الاول ، ص59. أبو زيد شلبي ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص100.

دون الجمهور بما كانوا يخشون من اغتيال الخوارج مع ما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب¹.
ويضيف عن الاحوال التي تطورت فيها الحجابة إذ يقول : "اذ كانت الدولة في أول أمرها بدوية ،كان صاحبها على حال الغضاضة والبداءة والقرب من الناس وسهولة الإذن فإذا رسخ عزه صار الى الانفراد بالمجد واحتاج الى الانفراد بنفسه عن الناس للحديث مع أوليائه في خواص شؤونه لما يكثر حينئذ من بحاشيته فيطلب الانفراد من العامة ما استطاع ويتخذ الاذن ببابه على من لا يأمنه من أوليائه وأهل دولته ويتخذ حاجبا له عن الناس يقيمه ببابه لهذه الوظيفة"².

لذلك فلما قامت الدولة الأموية والظروف التي أحاطت بنشأتها كانت تدعو الى اتخاذ الحجاب ، سيما بعدما راح أغلب الخلفاء الراشدين ضحية الاغتيالات ، فبدى واضحا ضرورة ذلك لاستمرار السلطة الأموية والحفظ على حياة خلفائهم .

فكان الحاجب في عهد بني أمية بمثابة موظف كبير يشبه كبير الأمناء في العصر الحالي ، وكانت وظيفته وظيفة سامية في البلاط إذ يعمل على ادخال الناس على الخليفة ، وقد تحددت بعض ضوابطها فلا يؤذن في أي وقت الا لثلاث ، فقد قال عبد الملك بن مروان لحاجبه حين ولاه الحجابة(قد وليتك حجابة بابي إلا عن ثلاثة :المؤذن للصلاة فانه داعي الله ،وصاحب البريد فأمر جاء به ، وصاحب الطعام لئلا يفسد)³.

كما أوصى عبد الملك أخاه عبد العزيز واليه على مصر (65-86 هـ) فقال(أبسط بشرك وألن كتفك وآثر الرفق في الأمور فإنه أبلغ بك وانظر حاجبك

1 - ابن خلدون ، المقدمة ، ص605.

2 - ابن خلدون ، المصدر السابق 605.

3 - حسن ابراهيم ، المرجع السابق، ص146.

فليكن من خير أهلك فإنه وجهك ولسانك ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له وتراه¹.

وقد حاكى العباسيون أسلافه الأمويين في أمر الحجابة إلا أنهم قد غالوا في منع الناس من المقابلات الرسمية إلا في الأمور الهامة فاتخذوا حاجبا ثانيا فكان بين الخليفة العامة حاجبان ففي الدار الأولى التي تعرف الدار الخاصة حاجب وفي الثانية التي تعرف بالدار العامة حاجب آخر ، فكان الخليفة يقابل كل طائفة حسب حالتها وظروفها وفق ما يقرره الحاجب ويقدره وعليه فالإذن في هذه الحال يخضع لإرادة الحاجب في كل الأحوال².

وقد أورد البيهقي في المحاسن والمساوي " قال الواثق لابن ابي دوؤاد : من أولى بالحجبة ؟ فقال مولى شفيق يصون لطلاقة وجهه من ولاه ويستعبد الناس لمولاه فنظر الواثق الى إيتاخ - وكان واقفا على رأسه - فقالوا قد ولاه أبو عبد الله الحجبة فكان إيتاخ يعرف ذلك ويتقدم بين يديه إلى أن يبلغ مرتبته³

ومما طرأ على الحجابة في العصر العباسي أن أضيف حاجب ثالث في عصر الضعف ، وكان أشد من الحاجبين الأولين ، وقد ارتفعت مرتبة الحاجب في عهد العباسيين فأصبح يضطلع بالمشورة في أمور الدولة المهمة ، ومن أبرز حجابهم في العصر الأول الفضل بن الربيع الذي يعزى إليه أنه من وشى بالبرامكة عند الرشيد ، وإدارة الصراع بين الأخوين الأمين والمأمون وكان هو العقل المدبر لإثارة الأول على الثاني⁴.

1 - نفسه ، ص 146.

2 - حسن الحاج حسن ، المرجع السابق ، ص 179.

3 - البيهقي ، المحاسن والمساوي ، ج 1 ، ص 124.

4 - حسن ابراهيم ، المرجع السابق ، ص 146.

وكان ظهور الحاجب الثالث في الدولة العباسية يعكس حالة انهيار الدولة فقوى نفوذه وزاد سلطانه حتى حاز مرتبة مستشار الخليفة ،واستطاع الحاجب في هذه الفترة أن يقوضوا من سلطة الوزراء والتأثير على قرارات الخليفة بتعطيلها إذا لم تتماشى مع رغباتهم فقد ذكر ابن مسكويه (غلب محمد بن ياقوت على تدبير الأمور بنظره في جباية الأموال وحضور أصحاب الدواوين مجلسه وتقدره بكل ما يعمله الوزراء)¹.

ولمكانة الحاجب صار ذكر اسمه يدل على مدى استقامة أمور الدولة فكان أعظم الملوك لا يستتف عن ذكر الحاجب وذي الوزارتين السيف والقلم لذلك نرى أن دولة الموحدين التي ظلت متمسكة بالمقومات التي تأسست عليها لم يكن الحاجب معروفا في دولتهم ، وكذلك دولة زناتة بالمغرب فقد احتجب ذكر الحاجب فكان من يقوم مقامه على باب السلطان وحجبه عن العامة يعرف بالمزوار ومعناه المقدم على المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ قراراته ، أما بالأندلس فكانوا يسمونه بالوكيل².

1 - نفسه ، ص 130.

2 - حسن الحاج حسن، المرجع ال سابق ، ص 179.

القضاء:

1- تعريف القضاء:

أ- القضاء في اللغة:

القضاء مصدر جمعه أقضية وفعله قضى يقضي بمعنى حكم. وفي القاموس
:القضاء ممدود ومقصور ، وقضى عليه قضاء وقضيا ورجل قضى:سريع القضاء ،
واستقضى صار قاضيا¹.

ويحتمل القضاء في اللغة معاني متعددة منها:

-الحتم والإلزام والأمر ومنه قوله تعالى(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين
إحسانا)².

-الأداء والإنهاء ومنه قوله تعالى(وقضينا إليه ذلك الأمر)³.وقوله(فإذا قضيت
الصلاة فانتشروا في الأرض)الجمعة 10.

-الحكم والمنع ومنه قضيت على السفينة أي حكمت عليه، وسمي القاضي حاكما
لمنعه الظالم من ظلمه ،ومنه قولهم :قضى الحاكم ، أي وضع الحق في أهله، ومنع
من ليس له أهلا ، كما سمي القضاء حكما لما فيه من الحكمة التي توجب وضع
الشيء في محله، ويأتي القضاء بمعان أخرى⁴ .

ب- في الاصطلاح:

عرف القضاء عند فقها الاسلام بعدة تعريفات ترجع كلها إلى معنى واحد منها:

(القضاء هو فصل الخصومة بين خصمين فأكثر بحكم الله تعالى)⁵.

¹ - الفيروزآبادي ،القاموس المحيط،ج4، ص371.

² - الاسراء 23.

³ -الحجر 66.

⁴ - عرنوس ، تاريخ القضاء في الإسلام ، ص9.

⁵ -البجيرمي علي الخطيب ، ج4،ص317.

وعرفه أئمة المالكية على أنه: (الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام)¹.
وعرفه أئمة الحنابلة على أنه (الإلزام بالحكم الشرعي وفصل الخصومات)².
وأفضل تعريف فقهي للقضاء هو (الفصل بين الناس في الخصومات ،حسما
للتداعي،ودعا للنزاع ، بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة)³.

2- القضاء عند العرب قبل الإسلام:

لم يكن لعرب ما قبل الإسلام أمة واحدة وكيان سياسي موحد ، وإنما كان النظام القبلي هو السائد سواء في الحواضر والمدن أما في البوادي فقد كانت البداوة ، كما لم يكن لهم نظام أو شريعة أو قانون ،إنما يرجعون في جميع شؤونهم إلى العادات القبلية والأعراف العربية والبديوية ، والتقاليد الموروثة فيحتكمون إليها وعلى أساسها ، كما سادت عندهم العصبية القبلية ، فيناصرون بعضهم على أساسها سواء أكان المنصور ظالما أو مظلوما ، ويعتمد على الأخذ بالثأر والانتقام إلى حد الإفراط ومجاوزة الحد في ذلك دون التقيد بملاحقة الجاني نفسه بل يقتلون في سبيل إرواء غليل الانتقام بقتل الأبرياء ، فتظل تلك الظلمات والثارات بينهم لعقود من الزمن ،فتنتشب بينهم الحروب وتتضاعف العداوات وتتوارث .

ولم يهتد العرب الى الاقتضاء إلا ما عرف من بعض أحوال التحكيم فيما بينهم وقد اشتهر عدد منهم الذين كانوا يصدرن أحكاما شبيهة بالأحكام القضائية دون أن تكون لهم سلطة التنفيذ إلا سلطة العرف والتقاليد من المحكمين الذين اشتهروا في الجاهلية أكثرهم بن صيفي حكيم العرب في الجاهلية ، وقص بن ساعدة الأيادي أحد حكماء

1 - تبصرة الحكام، ج2،ص8.

2 - كشاف القناع، ج6،ص285.الروض المربع ، ج2،ص365.

3 - حاشية ابن عابدين ، ج5، ص351.

العرب وأشهر قضاتهم، وعامر بن الظرب العدواني ، وأمّية بن أبي الصلت وعبد الله بن أبي ربيعة اليفقي من آل الطائف وغيرهم¹.

3-القضاء زمن النبي صلى الله عليه وسلم:

يعتبر القضاء زمن النبي صلى الله عليه وسلم الأساس الذي انبنى عليه القضاء في الاسلام ، وقد أوتي عليه السلام الحكمة وجوامع الكلم التي تمثلت في السنة المطهرة فأقام المجتمع الفاضل في المدينة المنورة ووجد القبائل العربية ، وأعلن تحكيم الأحكام الشرعية ونظم الحقوق وفصل في المنازعات وحل الخلافات وقضى بين المتخاصمين وأرسى قواعد الحق والعدل².
لذلك فالقضاء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قد أسس للقضاء الاسلامي من حيث:

- كان القضاء في عهده عليه السلام تطبيقا عمليا كاملا ودقيقا وأمينا لما جاء به القرآن الكريم.

- كان القضاء في العهد النبوي حدا فاصلا للموروث الجاهلي في هذا المجال، فقبل الصالح منه والمفيد ، وألغى الباطل والفاسد والضار وكل ما لا يتفق مع دين الله تعالى وشرعه.

- بيّن القضاء في العهد النبوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نبيا موحى إليه وبشرا قاضيا ويجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية.

- الأفضية التي أجزاها النبي صلى الله عليه وسلم تعتبر من السنة النبوية وجزء منها.

- أن قضاء النبي صلى الله عليه وسلم يوجب الالتزام به والافتداء به .

¹ - الزركلي ، الأعلام ، ج1 ، ص 87 و364.

² - وهبة الزحيلي، تاريخ القضاء في الإسلام، ص 38-39.

- كان القضاء النبوي صورة مشرقة وضاءة للعالم في الحياد والعدالة والالتزام بالحق

ولو على النفس والولد والقريب والبعيد والمسلم والكافر¹.

4- القضاء في العهد الراشدي:

إن القضاء من الوظائف الدينية لذلك فهو من واجبات الخلفاء لأنه أهم الجوانب لتطبيق الشرع الاسلامي وإقامة أمور الدين المتعلقة به لذلك راعى خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأهمية التي يضطلع بها القضاء فكانوا يقومون به بأنفسهم أو ينيبون من يقوم بذلك نيابة عنهم لا سيما القضاء خارج المدينة فعينوا القضاة وتكفلوا بإقامة العدل.

ففي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد كان الناس يرجعون إليه في بعض القضايا مثل ميراث الجدة ، ونفقة الوالد على الولد، وغيرها من المسائل والأقضية التي عرضت عليه ، وكان يتابع قضاء القضاة في الامصار بنفسه.²

وبعد أن اتخذ ابو بكر معاونين وعمالا لتسيير شؤون الدولة فقد عهد بالقضاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد روي أنه(لما استخلف أبو بكر استعمل عمر على القضاء ،وأبا عبيدة على بيت المال فمكث عمر سنة لا يتقدم إليه أحد)³.

فقد تولى أبو بكر القضاء بنفسه لكن مشاغل الدولة لم تكن لتسمح له بأن يستمر في مباشرة القضاء بنفسه ،لذلك أراد أن يتفرغ للسياسة العامة والقضايا الكبرى الحاسمة التي تتطلب متابعة ومعالجة سريعة مثل محاربة المرتدين وإرسال الجيوش لمحاربة

¹ - نفسه، ص40-41.

² - القضاء في صدر الإسلام ،ص128. أخبار القضاة ،ج1، ص198. الخضري بك ، تاريخ الأمم الإسلامية ، ج2، ص87. وهبة الزحيلي ، المرجع السابق، ص85.

³ - أخبار القضاة ، ج1، ص104. عنونوس القضاء في الإسلام ،ص11. تاريخ قضاة الأندلس ،ص22. عبقرية الإسلام ،ص439.

الفرس والروم ونشر الدعوة لذلك لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه قال لعمر وأبي عبيدة لا بد لي من أعوان ،فقال عمر :أنا أكفيك القضاء، وقال أبو عبيدة وأنا أكفيك بيت المال)¹.

ولما تولى عمر الخلافة ظل ينظر في القضاء في المدينة مع أنه فوض بعض الأمور والقضايا البسيطة إلى بعض الصحابة، ويتابع أحاكم القضاة في الأقاليم ،أما عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد أبقى على سياسة عمر في القضاء فكان ينظر في قضاء المدينة بنفسه ، كما أطلق يد القضاة وحررهم من الارتباط بشخص الخليفة مع مراقبتهم ومتابعتهم ، ومن قضائه في المدينة أنه قضى في قضية قتل وفي قضية سكر من أخيه لأمه ، وفي أيام خلافته كان على قضاء المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وزيد بن ثابت وغيرهما، فكانت القضايا ترفع إلى عثمان فيستدعيهم ويستدعي غيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم².

وكان علي رضي الله عنه أفضى الصحابة ، ظل مرجعا في القضاء منذ أيام النبي صلى الله عليه وسلم وطوال العهد الراشدي ، واستمر على ممارسة القضاء والفصل في الخصومات أثناء خلافته ، وله أقضية كثيرة في شؤون مختلفة في الحدود والقصاص والنسب والأموال ، وله رسائل مشهورة في هذا الشأن³.

5-القضاء في العصر الأموي:

ظلت السياسة القضائية في الدولة الإسلامية في العهد الأموي على ما كانت عليه من قبل في العصر الراشدي مع ظهور بعض المستجدات المتعلقة بالجانب التنظيمي ، من هذه المستجدات تخلي خلفاء بني أمية عن ممارسة القضاء ،وأول

1 - أخبار القضاة ، ج1، ص104.

2 - البهي ، تاريخ القضاء ، ص146. ،

3 - وهبة الزحيلي ، تاريخ القضاء في الإسلام، ص86-87.

من فعل ذلك معاوية رضي الله عنه، وعين القضاة في حاضرة الدولة الاسلامية بدمشق ، وأوكل إليهم أمر القضاء وأعطى لهم كل الصلاحيات ، وكذلك فعل ولاته على الأمصار فتخلوا هم كذلك عن ممارسة القضاء، وسار خلفاء بني أمية على هذا النهج طيلة العهد الأموي سواء في العاصمة أم في سائر الأمصار.¹

ولم تكن للخلفاء الأمويين صلة بالقضاء إلا في تعيين القضاة بالعاصمة دمشق والإشراف على أعمال القضاء وأحكامهم ومتابعة شؤونهم الخاصة في التعيين والعزل والرزق ومراقبة أفضيتهم ومدى التزامهم بالسلوك القضائي، ومن مستحدثات القضاء في هذه الفترة ممارسة قضاء المظالم وقضاء الحسبة وقد أولى خلفاء بني أمية أهمية خاصة ورعاية كاملة للنظر في المظالم وتم التأسيس له في هذه الفترة حتى أصبح جهازا قائما بذاته، ولما خلصت الخلافة لبني أمية أقر بعض خلفاء بني أمية بعض القضاة في مناصبهم من أمثال القاضي شريح بالكوفة، وكان الخلفاء بالعاصمة يقومون باختيار القضاة وتعيينهم وكان قاضي دمشق يعرف بقاضي الخليفة².

ومن أهم المستجدات التي طرأت على القضاء في العصر الأموي هو لا مركزية تعيين القضاة ، فقد أعطى الخلفاء الأمويون للولاة الأمصار حرية تعيين القضاة دون الرجوع إليهم ،وربما يرشحون لهم بعض القضاة للاختيار منهم³.

كما كان الخلفاء والولاة يسترشدون بآراء القضاة السابقين في تعيين الجدد ،كمن كبرت سنه من القضاة أو طلب الاعفاء من مهمة القضاء ،من ذلك ما طلبه هشام بن عبد الملك عندما طلب منه القاضي نمير بن أوس إعفاءه من القضاء لضعف بدنه وبصره فطلب منه هشام ترشيح آخر فذكر له يزيد بن أبي مالك الهمداني

¹ - نفسه ،ص 166.

² - روضة القضاة ،ج4،ص1486. تاريخ قضاة الأندلس، ص24.

³ - أخبار القضاة ج1،ص181.

صاحب فقه أهل دمشق فولاه¹.

كما كان الخلفاء والولاة يتحققون من أهلية القضاء وقدرتهم العلمية على القضاء ،
فيشاورون في شأنهم قبل إسناد القضاء إليهم .

6- القضاء في العصر العباسي:

ظهرت في العهد العباسي أموراً جديدة وكثيرة تتعلق بالقضاء والتنظيم القضائي
تتناسب مع التطور الاجتماعي والسياسي والفكري والفقهني للعهد العباسي ، وكانت
الرعاية للقضاء تامة وكاملة لا سيما في العصر العباسي الأول ، وقد تنبه الخلفاء
الأوائل لأهمية القضاء في الدولة لذلك قاموا بإصلاح ما اعتراه من ضعف وتراخ في
العصر الأموي ، فاهتم أبو جعفر المنصور بالقضاء ، كما سار على نفس السياسة
كل من الهادي والرشيد والمأمون .

وقد امتاز القضاء في العصر العباسي بعدة ميزات وخصائص يمكن اجمالها فيما
يلي:

- اكتمل القضاء الاسلامي باكتمال وجوده وأصوله وفروعه وقواعده وإجراءاته
وأحكامه ونظمه في هذا العصر .

- كما ظهر في هذا العصر في العهد الثاني صور قائمة للقضاء شابهته بعض
العيوب والانحراف وحل الفساد في بعض الأمور رغم محاولات الإصلاح .

- ازدهر الاجتهاد في العصر الأول وكان القضاة مجتهدين ، ووجدت المذاهب
الفقهية ، ودونت الأحكام الشرعية وصنفت المؤلفات الفقهية عامة والكتب القضائية

¹ - وهبة الزحيلي، تاريخ القضاء، ص 167.

خاصة¹.

-ضعف الاجتهاد في القرن الخامس الهجري واستقرار المذاهب الفقهية والتزام الناس والقضاة بها ، وركن القضاة إلى التقليد.

-ظهر تعدد القضاة في المدينة الواحدة كما ظهر تعدد القضاة في المذاهب الأربعة.

-ظهور منصب قاضي القضاة بما يشبه وزير العدل في الأنظمة الحديثة ، حيث أوكلت له الاشراف عن المؤسسة القضائية.

-انشاء نظام قضاء الحسبة حيث صار للحسبة جهازا مستقلا للحفاظ على الحقوق والقيم والأحكام والأنظمة والآداب.

-استقر قضاء العسكر وانتشر في البلاد وأصبح قضاء مستقلا .

- ظهور النظر في المظالم بشكل رسمي برعاية خاصة من الخلفاء العباسيين ، وأولوه العناية والرعاية حتى منتصف العهد العباسي ثم تخلوا عن ذلك وتركوا الأمر لقاضي المظالم².

-اتساع سلطة القاضي فاصبحت تشمل المعاملات والعقوبات والأحوال الشخصية ومختلف المنازعات والخصومات والأحكام وظهر توزيع الاختصاصات وظهر قاضي المسجد.

-اسناد مهام إضافية للقضاة متعلقة بالقضاء والإعمال الادارية غير القضائية فصار للقضاة النظر في الأوقاف والإشراف على أموال اليتامى ، ونصب الأوصياء ، واستلام بيت المال والإشراف على دار الضرب ودور العلم وإصلاح المساجد والجسور ومراقبة البناء وتولي الشرطة والحسبة وصلاة الجمعة والأعياد والاشتراك

¹ -نفسه، ص 204.

² -وهبة الزحيلي ، تاريخ القضاء ، ص205.

في الحفلات العامة وتنصيب الخلفاء أو خلعه كما استلم القضاة الوزارة وكانوا سفراء الخليفة أو الوالي في المهام الدقيقة والخطيرة.

- ظهور أعوان القضاة في العصر العباسي لمساعدة القضاة في أعمالهم مثل: نائب القاضي، وكاتب المحكمة ، والمناذي والحاجب والمعاون ، وصاحب المسائل والأمناء والخازن ديوان المحكمة¹.

- استحدثت القضاة في العصر العباسي إجراءات جديدة للتقاضي والدعوى.

- امتناع كثير من العلماء والفقهاء عن ولاية القضاء لأسباب عديدة ورعا وزهدا وسياسة ومذهبيا أو خوفا من عدم القدرة على القيام بالقضاء.

- كثر عدد القضاة في العصر العباسي وصنفت الكتب الخاصة في أخبار القضاة².

7- القضاء في المغرب والأندلس:

يمكن اجمال ميزات القضاء في المغرب والأندلس فيما يلي:

- كان جزء من القضاء الاسلامي عامة.

- كان التنظيم القضائي في هذين المصرين شبيه إلى درجة كبيرة بالقضاء في المشرق.

- كان الخليفة أو الأمير بالأندلس والمغرب هو الرئيس الأعلى للقضاء.

- كان القضاة مستقلين في أحكامهم وقضائهم.

- أن الخليفة أو الأمير وحكام الولايات يتولون غالبا تعيين القضاة بعد استشارة العلماء عامة وقاضي الجماعة خاصة.

- حظي العلماء والفقهاء والمفتين عامة بالأندلس والمغرب بمكانة رفيعة وعالية وتزداد رفعة وسموا متى تولى احدهم القضاء وخاصة قاضي الجماعة.

¹ -وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص206

² - نفسه، ص206.

-ظهر بالأندلس والمغرب بشكل بارز ومتميز مجلس شورى القضاء¹.

¹ - وهبة الزحيلي، المرجع السابق ، ص286-287.

المظالم:

كان القضاء في الدولة الاسلامية يؤدي المهمة المنوط بها في نطاق العدالة ، فنأى بالمجتمع إلى حياة التناسف والكف ،فاختفت مظاهر الجشع والطمع والظلم بشكل أن أصبحت تظهر على وجه عارض ،لكن مع ذلك لم يكن الأمر يخلو من مشاكل كانت تستعصي أمام القضاء العادي ، مما يصعب التعامل معها كأن يكون المعتدي صاحب نفوذ أو مقام عال في الدولة ، أو يكون الاعتداء في حد ذاته مرتبط بالدولة ، من قبل الولاة أو الولاة أو أصحاب الشرطة أو الأمراء ، عند ذلك لابد من وجود سلطة لها من الهيبة والقوة والردع لتبت في الاعتداء المرتكب ، لذلك تأسس النظر في المظالم على هذا الاعتبار.

1- تعريف المظالم:

عرف الامام الماوردي المظالم (ونظر المظالم هو قود المتظالمين إلى التناسف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة ،فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر نافذ الأمر عظيم الهيبة ظاهر الصفة قليل الطمع كثير الورع لأنه يحتاج في نظره الى سطوة الحماية وثبت القضاة فيحتاج الى الجمع بين الفريقين وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر في الجهتين)¹.

2-نشأة النظر في المظالم:

وقد جلس الخلفاء الراشدون للمظالم كعمر بن الخطاب و علي رضي الله عنهما ، وكانا ينظرا في شكاية من يأتيهما من المتظلمين ويعملا على إنصافه كما أخبرت الرواية التاريخية.

بعد أن اتسعت الدولة الاسلامية وكثر الداخلون في الاسلام من مختلف العرقيات

¹ -الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص74.

والأجناس من الفرس والبربر وغيرهم وجاء أولئك المسلمين بعباداتهم وتقاليدهم ،ومع مرور الزمن ضعف وازع الضمير في المجتمع المسلم وانحرفت بعض النفوس عن مسيرة الخير فنشأ عن ذلك أن تظالم الناس فيما بينهم ، فتعدت هذه الظلامات حدود القاضي ، فكان لابد من سلطة تعيد الأمور الى نصابها ،حتى ولو كانت هذه السلطة هو الخليفة نفسه ، فكان أول من جلس مجلسا رسميا للنظر في الشكاوى الخاصة بالمتظلمين عبد الملك بن مروان فكان ينظر فيما يعرض منها ثم يحيلها الى قاضيه أبي إدريس الأردني ، فعبد الملك الأمر وأبو إدريس المباشر¹.

وفي العهد الأموي لما زاد جور الولاة وتشكي الرعية منهم تصدى لهم عمر بن عبد العزيز الذي رد مظالم بني أمية وفي خطبة التولية قال:(أوصيكم بتقوى الله فإنه لا يقبل غيرها ولا يرحم الا أهلها وقد كان قوم من الولاة منعوا الحق حتى اشتري منهم شراء وبذلوا الباطل حتى افتدى منهم الفداء ، والله لولا سنة من الحق أميبت فأحييتها وسنة من الباطل أحييت فأمتها ما بليت أن أعيش وقتا واحدا ، أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم إن أمره ليس بينه وبين آدم إلا الموت امعوق له في الموت)².

وكانت محكمة المظالم تتعدت تحت رئاسة الخليفة أو الوالي أو من ينوب عنهما، ويفرد صاحب المظالم يوما لتعرض عليه شكاوى المتظلمين، أما إذا تفرغ لها فينظر فيها في سائر أيام الأسبوع، وكانت محكمة المظالم تعقد في المسجد وكان يضم مجلس المظالم كل من :

أ- الحماية والأعوان:

لفرض النظام والانضباط ويجب أن يكونوا من أصحاب القوة بحيث يستطيعون

¹ - حسن ابراهيم، النظم ، ص295.

² - الماوردي ، المصدر السابق،ص76.

التغلب على من يخرج على النظام ويشير الشغب في المجلس أو يلجأ إلى العنف ،
أو يحاول الفرار من وجه القضاء .

ب - الحكام:

ومهمتهم الإحاطة بما يصدر من الأحكام لرد الحقوق إلى أصحابها ، والعلم بما
يجري بين الخصوم ، فيلمون بثبات الأمور الخاصة بالمتقاضين ، وكان القضاة
يستفيدون من هذه الجلسات .

ج - الفقهاء:

ويستعين بهم صاحب المظالم فيما قد يشكل عليه من القضايا التي قد تحتاج إلى
الاجتهاد وإحاطة بمعرفة الأحكام .

د - الكتاب:

ومهمتهم إدارية محضة من حيث أنهم يقومون بتحرير وكتابة أقوال الخصوم .

هـ - الشهود :

ومهمتهم إثبات ما يعرفونه عن الخصوم والشهادة على أن ما أصدره القاضي من
الأحكام لا ينافي الحق والعدل¹ .

3- صلاحيات قاضي المظالم:

أ- النظر في القضايا والدعاوى التي يقيمها الأفراد والجماعات على الولاية إذا جاروا
وجاوزوا الحد وانحرفوا عن العدل والأنصاف وعمال الخراج إذا اشتطوا في جمع
الضرائب، وكتاب الدواوين إذا حادوا عن إثبات أموال المسلمين بنقص أو زيادة .

ب- النظر في تظلم المرتزقة إذا نقصت أرزاقهم أو تأخر أجل دفعها .

ج- تنفيذ ما يعجز عنه القاضي والمحتسب عن تنفيذه من الأحكام .

¹ - حسن إبراهيم ، النظم، ص296.

- د-مراعاة إقامة العبادات كالحج والأعياد والجمع والجهاد¹.
- هـ-رد الغصوب إلى أصحابها مهما كانت الجهة التي قامت بذلك متى ثبت لصاحب المظالم كافة الأدلة قرائن أو اثباتات.
- و- الاشراف على الأوقاف العامة والخاصة وإجرائها على شروط واقفيها.
- هـ- النظر فيما عجز عنه المحتسب في المصالح العامة.

4- صفات صاحب المظالم:

- ينبغي لمن يتولى المظالم أن يتصف بالصفات الآتية:
- أ-يتميز ناظر المظالم بجلال هيئته وقوة تنفيذه وبعد نظره حتى يكف الخصوم عن التجاحد والتغالب والتجاذب.
- ب- لا يتقيد ناظر المظالم بصيغ الوجوب وإنما يخرج إلى سعة الجواز بعيدا عن القيود التي يلتزم بها القاضي فتكون حركته أسرع وحكمه أنفذ.
- ج- إذا وجد صاحب المظالم بأن أمامه عقدة مستحكمة الحل ، لمراوغة الباغي و مخادعته ،فقد يعمد إلى الارهاب وغايته من ذلك إظهار الحق وإنصاف المظلوم ، وهو أمر لا يتأتى للقضاة بحكم طبيعة مناصبهم.
- د- يقوم صاحب المظالم بتأديب الظالم وتهذيب المعتدي.
- هـ-لصاحب المظالم الحق بأن يأخذ فرصة من الوقت فيتأني في النظر إلى القضايا التي تعرض عليه ملما ومستقصيا جميع أطراف الدعوى ولا يحق لأي من الخصمين الطلب إليه لإصدار حكم سريع.
- و-يحق لصاحب المظالم رد الخصمين إلى وسطاء للإصلاح بينهما بالتراضي ، وهذا أمر غير متاح للقاضي إلا اذا اجتمعت رغبة الخصمين.

¹ الماوردي، الاحكام السلطانية،ص73-81.حسن إبراهيم المرجع السابق، ص296.

ز- له الحق أن يسمع إلى الشهود بالكيفية التي يراها مناسبة ولو في الخفاء ، ولهم بأن لا يمثلوا أمام القضاء ، وله أن يقبل شهادة من يشاء ويرد من يشاء.
ح- يمكن لوالي المظالم أن يستمع للشهود قبل المدعين على خلاف القاضي يبدأ بالمدعين ثم سماع الشهود¹.

الحسبة

تعد الحسبة من الوظائف الدينية في الاسلام لأنها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر يقوم المحتسب بهذا الأمر من باب الفرض العين إذا تولاها وهو مأجور عليها براتب يأخذه من بيت المال.

¹ - حسن الحاج ، المرجع السابق ، ص 237-238.

1-تعريف الحسبة:

في اللغة: هي اللغة من العد والحساب وتأتي بمعنى طلب الأجر والمثوبة من الله عز وجل.

أما في الاصطلاح فقد عرفها جمهور الفقهاء بأنها :

ولاية دينية يقوم ولي الأمر بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله، صيانة للمجتمع من الانحراف ، وحماية للدين من الضياع ، وتحقيقا لمصالح الناس الدينية والدنيوية وفقا لأحكام الإسلام.

2-الحسبة والقضاء:

تتقاطع الحسبة مع القضاء في جواز الاستعداد فيها على المستعدي عليه في حقوق الناس إذا تعلق ببخس أو تطفيف في الكيل والميزان أو غش أو تدليس في المبيعات والأسعار أو تماطل وتسويق في الدين مع حلول الأجل وتوفير القدرة على السداد ففي ذلك وجه من النهي عن المنكر والعمل على انهاء وإزالته من المجتمع الذي أساسه الأخلاق والفضيلة والكف عن الاعتداء على الحقوق.

والأمر الثاني أن لكل من المحتسب والقاضي إلزام المدعى عليه التحل والوفاء بما عليه من حقوق الغير، لأن في تأخير تلك الحقوق أو تركها معلقة ضرر يلحق بمن له الحق، و صار في اعتبار المنكر الذي يجب تغييره¹.

وتتميز الحسبة عن القضاء في وجوب ما ينبغي أن يكون عليه المحتسب من الشدة والقوة المفضية إلى ردع المخالف ، بينما على خلاف ذلك عند القاضي فلا يشترط

¹ - حسن الحاج حسن، النظم ، ص242.

فيه ذلك، لذلك وجب أن يكون المحتسب له من الرأي والغلظة في الدين والعلم بفقهِ المنكر وحيثياته¹.

لذلك فالحسبة تحمل صفة التقدير و التنفيذ بإزالة المنكر أو إلحاق العقوبة فوالي الحسبة يأمر وينهر دون أن يحكم ،بينما القاضي يحكم من ثم تكون الحسبة أمرا بالمعروف ونهي عن المنكر².

3- مهام والي الحسبة:

تتعلق مهمة المحتسب بالمخالفات المرتكبة منها ما يتعلق بالأمور الدينية ومنها ما يتعلق بالأمور المالية ،ومنها ما يختص بالآداب العامة والشؤون الاجتماعية، من أجل ذلك كانت الحسبة وظيفة دينية كونها في مجملها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

فالمحتسب يأمر بأداء الصلوات في وقتها ويعاقب تاركها بالضرب أو الحبس ،كما يتعهد الأئمة والمؤذنين فمن قصر أو خالف وخرج عن المشروع ألزمه بالكف عن ذلك والتزام المشروع ،كما يقوم المحتسب بإتلاف المغشوش من السلع والعروض والطعام والثياب ويراقب الموازين والمكاييل والأسعار في الأسواق ، ويترصده المخالفين في الطرقات ويلزمهم بآدابها ، سيما المنكرات المتعلقة بالأموال فله أن يراقب الأسعار ويضرب على أيدي المغالين والمحتكرين ، ويمنع الربا وغيرها من المعاملات التي يؤكل فيها المال بالباطل، وأن يراقب الحمالين وأن لا يرهقوا دوابهم فوق طاقتها، وينظر في مقاعد الأسواق فيزيل منها ما يلحق الضرر بالمارة وغيرها من المهام التي يباشرها المحتسب من خلال ولايته للحسبة³.

1 - الماوردي ، الأحكام السلطانية، ص231.

2 -أبو يعلى الفراء ، الاحكام السلطانية، ص269.

3 - حسن الحاج حسن ، النظم ، ص243.

لذلك يمكن اجمال مهام المحتسب أنه مخول بتولي كل أمر له علاقة بالنظام العام وحماية العامة ، ومن ثم فصلاحياته كثيرة ومتشعبة طالما تصب كلها في سبيل الخدمة العامة ، ونظرا لأهمية الحسبة فصلاحيات تشمل القضاء والقضاة مع العلم أن القضاء أعم من الحسبة، كما أن صلاحيات القاضي تشمل صلاحيات المحتسب.

ومما يروى في هذا المجال أن ابراهيم بن بطحاء والي حسبة بغداد مر بدار أبي عمر بن حماد قاضي القضاة يومئذ فرأى الخصوم جلوسا على بابه ينتظرونه وقد أصبح الوقت ضحى واشتد حر الشمس فاستدعى حاجبه وقال له :قل لقاضي القضاة الخصوم جلوس على بابه ، وقد بلغتهم الشمس وتأذوا من الانتظار فإما جلست لهم أو عرفتهم عذرك فينصرفوا ويعودوا¹.

وكان القضاء والحسبة يسندان أحيانا إلى رجل واحد ، فعمل القاضي يقوم على التحقيق والأناة في الحكم أما عمل المحتسب فيقوم على الشدة والسرعة في الفصل². وقد كان للمحتسب دار يطلب فيها جميع الباعة في أوقات معينة ومعهم موازينهم ومكاييلهم فيعايرها فان وجد فيها خلا صايرها وألزم صاحبها بشراء غيرها أو أمره بإصلاحها وقد ظلت هذه الدار قائمة طيلة عهد الدولتين الفاطمية والأيوبية³.

وقد أجمل ابن خلدون أعمال المحتسب بأنه يحول دون مضايقة الناس في الطرقات ، ويمنع الحمالين وأهل السفن من المبالغة في الحمل أو شحن السفن ويحكم بهدم المباني المتداعية للسقوط حتى لا تقع على المارة ويمنع معلمي الكتّاب من ضرب

1 - نفسه، ص243.

2 - الماوردي، المصدر السابق، ص61-72.

3 - المقرئزي، الخطط، ج1، ص463-463. حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق، ص298.

الصبيان ويحكم في الدعاوي المتعلقة بالغش والتدليس ويحمل المماطلين على أداء ما عليهم من الديون¹.

وقد ارتقى نظام الحسبة في عهد الفاطميين فاتخذ المحتسب نوابا له يطوفون في الأسواق فيفتشون القدر واللحوم وأعمال الطهاة ويشرفون على السقائين لضمان تغطيتهم القرب ويراقبون لبسهم السراويل حتى لا يخرجوا عن الآداب العامة. وكان المحتسب يجلس للفصل بين الناس في جامع عمرو بن العاص والأزهر واتسعت سلطة المحتسب حتى ألزم رجال الشرطة بتنفيذ أحكامه وكان يخلع عليه ويقرأ سجله بمدينة مصر والقاهرة على المنبر².

4- شروط ولاية الحسبة:

يشترط فيمن يتولى الحسبة:

أ- الاخلاص والتجرد:

المحتسب يقوم بواجبه امتثالا لأمر الشارع له ، لذلك ينبغي أن يكون عمله مجرد من أي مصلحة شخصية كما جاء في قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي

إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)³.

ب- العلم والحكمة :

يجب على من يقوم بمهمة المحتسب أن يكون عالما بفقهِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعرف مواضع الأمر والإنكار وحكيما في ذلك حتى لا يكن فعله ما قد

1 - ابن خلدون ، المقدمة ، ص196.

2 - حسن ابراهيم ، النظم، ص298-299.

3 -سورة هود الآية 88.

تترتب عنه مفسد قال الله تعالى(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)¹، وقال (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)².

ج- الرفق والحلم:

يجب على من تولى الحسبة أن يكون على قدر من الحلم والرفق ، فلا ينتقم لنفسه ولو توفرت أسباب ذلك ، وأن لا يقصد إيذاء فاعل المنكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ،ولا نزع من شيء إلا شانه).

الشرطة:

تعتبر الشرطة من أهم الوظائف في الدولة الاسلامية ،لارتباط عملها بأمر الأمن والنظام ،وحاجة المؤسسة القضائية اليها لتنفيذ الاحكام ، واستتباب الأمن ومنع أصحاب الفساد والريبة وأهل الشر من المساس بأمن الفرد والمجتمع وغيرها من المقاصد.

¹ -سورة يوسف الآية 108.

² - سورة النحل الآية 125.

1- مفهوم الكلمة:

قال القلقشندي (صاحب الشرطة بضم الشين وإسكان الراء هو المعبر عنه في زماننا بالوالي... وفي اشتقاقه قولان: أحدهما أنه مشتق من الشرط بفتح الشين والراء وهي العلامة لأنهم يجعلون لأنفسهم علامات يعرفون بها ومنه أشرط الساعة يعني علاماتها ، وقيل من الشرط بالفتح أيضا وهو رذال المال لأنهم يتحدثون في أرذال الناس وسفلتهم ممن لا مال لهم من اللصوص ونحوهم)¹.

جاء في القاموس المحيط (الشرطة هم أول كتيبة تشهد الحرب وتتهياً للموت وهم طائفة من أعوان الوالي سموا بذلك لأنهم علموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها)².

2- نشأة الشرطة في الإسلام :

أ- الشرطة زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين:

ترجع ارهاصات نشأة الشرطة في الدولة الاسلامية إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم حيث ذكر الامام البخاري في صحيحه (ان قيس بن سعد رضي الله عنه يكون بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير)³. وإذا اعتبرنا العسس النواة الاولى لنشأة الشرطة في الاسلام وهو الطواف في الليل لترصد أهل الفساد واللصوص وأهل الريبة وغيرهم فان ذلك يرجع الى عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد ذكر بعض المؤرخين أن عبد الله بن مسعود كان أميراً على العسس في عهد أبي بكر وأن عمر تولى العسس بنفسه وقد يصطحب معه أحدا من المسلمين كمولاه أو عبد الرحمن بن عوف.

1 - القلقشندي، المصدر السابق، 425.

2 - القاموس المحيط، ج6، ص245.

3 - البخاري، باب الحاكم يحكم بالقتل على من وجب عليه دون الإمام الذي فوقه .

ومن خلال النصوص التاريخية يبدو أن الشرطة قد ظهرت في الأمصار الإسلامية منذ أيام الخلفاء الراشدين حيث أورد الطبري أنه وُكِّل إلى أربعمئة منهم حراسة بيت المال والسجن في البصرة منذ ولاية أبي موسى الأشعري أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذكر المدائني أن زياد بن أبيه قد أنشأ حرساً خاصاً تعداده خمسمئة رجل وجعل على رأسهم عبد الله بن حصن بن شيبان بن عبد الله وكلفهم بحفظ الأمن ومتابعة اللصوص وقطاع الطرق والمتمردين والثوار فاخص عملهم بالشؤون الداخلية فلا علاقة لهم بالعمل الحربي وحركة الفتوح.

ب - الشرطة في العصر الأموي:

شهدت الشرطة في الدولة الأموية زمن معاوية بن سفيان تطوراً سائراً مقتضيات المرحلة التي تمر بها الدولة، فأضاف معاوية إليها شرطة الحرس الشخصي، وكانت الشرطة أداة تنفيذ لأمر الخليفة، ونظراً للمكانة التي حظيت بها الشرطة في هذا العصر فقد تولاهما بعض الأمراء والولاة، ففي عام 110 هـ تولاهما خالد بن عبد الله فجمعت له مع ولاية البصرة¹.

وللاعتبارات الأمنية والسياسية أعطى الأمويون أهمية خاصة للشرطة لذلك اشترطوا معايير معينة لمن يتولاها فمن قول زياد بن أبيه عن الشرطة (ينبغي أن يكون صاحب الشرطة شديد الصولة، قليل الغفلة، وينبغي أن يكون صاحب الحرس مسناً عفيفاً مأموناً لا يطعن عليه)².

ولما أراد الحجاج بن يوسف الثقفي أن يولي رجلاً على الشرطة بالكوفة فقال في المواصفات التي ينبغي أن يتحلى بها من يحظى بذلك (أريده طويل الجلوس³ سمين

¹ - الطبري، المصدر السابق، ج4، ص136.

² - اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص235.

³ - كناية عن الصبر وطول البال.

الأمانة¹ ، أعجف الخيانة² ، لا يخفق في الحق على جرة³ ، يهون عليه سبال الأشراف في الشفاعة⁴)، فأشير عليه بتولية عبد الرحمن بن عبيد التيمي، فأرسل إليه ليستعمله فقل له: لست أقبلها إلا أن تكفيني عيالك وولدك وحاشيتك. قال: يا غلام ناد في الناس: من طلب إليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمة⁵. ونظرا للكفاءة التي أظهرها هذا الرجل في توليه للشرطة في الكوفة قدرته على استتباب الأمن ظل أربعين يوما فلا يؤتى بأحد فضم إليه الحجاج شرطة البصرة أيضا⁶.

ج- الشرطة في العصر العباسي:

عرفت الشرطة تطورا اضافيا على ما كانت في العصر الأموي ويبين ذلك قول ابن خلدون (كان النظر في الجرائم وإقامة الحدود في الدولة العباسية والأموية بالأندلس والعبديين بمصر والمغرب راجعا إلى صاحب الشرطة ، وهي وظيفة دينية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول ، توسع النظر فيها عن أحكام القضاء قليلا ، فيجعل للتهمة في الحكم مجالا ، ويفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم ويقوم الحدود الثابتة في محلها ويحكم في القود والقصاص ويقوم التعزير والتأديب في حق من لم ينته عن الجريمة)⁷. تتوعد مهمة صاحب الشرطة في هذا العصر حول استتباب الأمن وترصد اللصوص والمفسدين والمحافظة على الآداب العامة ، ومنع التبرج والسفور والنياحة على الجنائز ، وضرب المخنثين ومنع

1 - تعبير عن قوة الأمانة.

2 - تعبير عن صدق الولاء بانعدام الخيانة ، والعجف هو الهزال ، المعجم الوسيط ج2، ص585.

3 - أي لا يتهاون في أبسط الأشياء .

4 - لا يأبه بالشفاعات من الوسطاء من أي طرف كانت،

5 - ابن قتيبة عيون الأخبار، ج1، ص7. ابو اسحاق القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ج2، ص381. ابن

حمدون ، التذكرة الحمدونية ج1، ص91.

6 - ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ج1، ص16.

7 - ابن خلدون ، العبر، ج1، ص222.

شرب الخمر وإقامة الملاهي و غيرها، فقد أمر والي مصر مزاحم بن خاقان سنة 253 هـ صاحب شرطته أزجور التركي أن يمنع النساء من الخروج متبرجات وان تزور القبور وتأديب المخنثين ومنع النياحة على الجنائز ومنع الملاهي ومحاربة الخمر¹.

لذلك كان اختيار صاحب الشرطة من الأذكياء والنابهين وأن يكون من أصحاب البأس والقوة ، كما حرص الخلفاء العباسيين أن يكون من الموسومين بالعلم والتقوى والفقه والذين لا يترددون في أنفاذ الحدود ولا يتهيبون من أحد فقد ذكر ابن فرحون أن صاحب الشرطة ابراهيم بن حسين بن خالد أقام شاهد زور على الباب الغربي الأوسط فضربه أربعين سوطا وحلق لحيته وسخّم² وجهه وأطافه إحدى عشرة طوفة يصاح عليه هذا جزاء شاهد الزور ، وكان صاحب الشرطة هذا فاضلا خيرا فقيها عالما بالتفسير ولي الشرطة لمحمد الأمين وكان أدرك مطرف بن عبد الله صاحب مالك وروى عنه الموطأ³.

وقد كانت الكفاءة الحربية مطية لتولي الشرطة في العصر العباسي ، فقد عين المأمون عبد الله بن طاهر بن الحسين على شرطة بغداد بعدما أثبت جدارته العسكرية في حروبه وفتوحاته⁴.

أما المتقاعسين عن أداء مهمتهم أو الفاسدين أو المتجاوزين للأحكام كتجاوز الحد عند تنفيذ العقوبة أو اسقاط أدلتها الموجبة لها كالبينة فإنه يعزل منها مثلما

1 - ناصر الأنصاري، تاريخ أنظمة الشرطة في مصر، ص46.

2 - سخّم: سؤد وجهه ، ابن منظور ، المصدر السابق، ج12، ص282.

3 - ابن فرحون ، تبصرة الأحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام ، ج5، ص319.

4 - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج5، ص455.

حدث مع محمد بن ياقوت صاحب شرطة بغداد في عهد الخليفة المقتدر بالله الذي عزله الخليفة منها بعدما ثبت عنه من سوء السيرة وعدم التزامه بعمله وظلمه¹.

3- شروط صاحب الشرطة:

يشترط في صاحب الشرطة أن يكون من النابهين الأذكياء ويفضل أيضا أن يكون من أصحاب البأس والقوة ويروى من نباهة الشرطة أنه أحضر بعض اصحاب الشرطة متهمين في لصوصية فقام أحد من أفراد الشرطة بكوز ماء فأخذه بيده ثم ألقاه عمدا فانكسر فارتاع أحدهما وثبت الآخر فلم يتغير فقال للذي انزعج اذهب وقال للآخر: أحضر العملة فقيل له من أين عرفت ذلك؟ فقال: اللص قوي القلب لا ينزعج والبريء يرى أنه لو تحركت في البيت فأرة لأزعجته ومنعته من السرقة².

اتخذت مهنة صاحب الشرطة في البلاد الاسلامية أسماء عدة ففي إفريقية كان يعرف بالحاكم وعند المماليك في مصر بالوالي وكانت من أهم الوظائف عندهم فمن أهم أعماله النيابة عن الوالي في إمامة الصلوات وتوزيع العطاء وكانت الشرطة في هذا الإقليم يحملون آلة حادة من السلاح سكين طويل تعرف بالطبرزين يتوسطون بها أما بالأندلس فقد قسمت الشرطة إلى قسمين الأول ويعرف بالشرطة الكبرى والثاني بالشرطة الصغرى ، حيث أوكلت للشرطة الكبرى مهمة متابعة الأمراء ورجال الدولة وأصحاب الوجاهة والنفوذ في الدولة وذلك حتى لا يتناول أحد مهما كانت منزلته في الدولة فيعتدي على العامة ومن لا حيلة له وكان صاحب هذا القسم

¹ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11، ص166.

² - ابن القيم ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ص67

من الشرطة له كرسي عند باب السلطان وغالبا ما يؤهل صاحب المنصب إلى تولى
وتقلد مناصب عليا في الدولة الوزارة والحجابه.¹

الدواوين:

1- المعنى اللغوي والاصطلاحي:

¹ - القلقشندي ، صبح الأعشى ج4،61.ابن خلدون ،العبر ، ج1،ص 251. آدم منتر : تاريخ الحضارة الإسلامية
في القرن 4 الهجري ج2،ص275.شوقي أبو خليل ، الحضارة العربية الإسلامية.

أ- المعنى اللغوي:

اختلف اللغويون في أصل الكلمة من حيث كونها عربية أم فارسية قال البعض منهم أنها عربية ومنهم سيبويه ومعناها الأصل الذي يرجع إليه ، والبعض الآخر قال أنها فارسية معربة ومنهم الأصمعي ومعناها سجل أو دفتر واستعملت مجازاً فأطلقت على المكان الذي تحفظ فيه السجلات الرسمية للدولة.

ويقال عن أصل هذه التسمية في كونها فارسية أنه لما رأى كسرى كتاب ديوانه يتمتمون - يرددون ما يكتبون بصوت منخفض- فقال عنهم(ديوانه) أي مجانيين فأطلق هذا الاسم على مكانهم بعد أن حذفت الهاء للتخفيف فصار (ديوان) .

ويرجع كذلك لفظة ديوان إلى الفارسية كونها بمعنى شياطين لأن كتاب الديوان وما يمتازون به من سرعة الفهم للأمور وإطلاعهم على الخفي والجلي منها وإحاطتهم بما شذ وتفرق فأطلق مكان جلوسهم على اسمهم.

المعنى الاصطلاحي:

عرف الماوردي الدواوين بقوله : (والديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال).

نشأة الدواوين:

يبدو أن نظم الدولة الإسلامية قد ظهرت حسب الحاجة إليها حيث في أيامها الأولى لم تكن لها الأولوية كما أن بساطة الدولة لم تستدعي مثل ذلك فلم تكن بحاجة إلى التدوين الحكومي عدا كتابة الوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والكتب التي أرسلها إلى ملوك ورؤساء العالم يدعوهم إلى الإسلام وكما أن الدولة ظلت على تلك الصفة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

غير أن أوضاع الدولة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد طرأ عليها كثير من التطور بفعل عوامل مختلفة ، حيث كثرت واردات الدولة فمست الحاجة إلى ضبطها فنشأ عن ذلك وضع ديوان العطاء أو الخراج كما ازداد عدد المقاتلين وكثر عدد الجيش واتسع نطاق الفتوحات فرأى عمر ضرورة تقدير أعطيات الجند وتسجيل أسمائهم فنشأ ديوان الجند.

ويرى بعض المؤرخين أن نشأة الديوان في زمن عمر رضي الله عنه قد اقترن بسببين هما:

- الأموال التي قدم بها أبو هريرة من البحرين:

حيث روي أن أبا هريرة قدم عليه بمال من البحرين فقال له عمر ماذا جئت به ؟ فقال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر فقال له : أتدري ما تقول ؟ قال نعم مائة ألف خمس مرات فقال عمر أطيب هو ؟ فقال: لا أدري فصعد عمر المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس قد جاءنا مال كثير ، فإن شئتم كلنا لكم كيلا ، وإن شئتم عددنا لكم عدا ، فقام إليه رجل ، فقال يا أمير المؤمنين : قد رأيت الأعاجم يدونون ديوانا لهم فدون أنت لنا ديوانا¹ .

وقال آخرون بل سببه أن عمر بعث بعثا ، وكان عنده الهرمزان فقال لعمر هذا بعث قد أعطيت أهله الأموال ، فإن تخلف منهم رجل وآجل بمكانه فمن أين يعلم صاحبك به فأثبت لهم ديوانا فسأله عن الديوان حتى فسره لهم². وروى عابد بن يحيى عن الحارث بن نفيل أن عمر رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تمسك منه شيئا .

¹ - علي بن محمد بن حبيب الماوردي : الأحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية ، ص 249.

² - الماوردي: المصدر السابق، ص 249.

وغيرها من المرويات التي ذكرت في هذا الباب عن نشأة الدواوين في الدولة الإسلامية.

تطور الدواوين :

نظرا للوضع الحضاري الذي صارت عليه الدولة في عهد بني أمية في جوانبه المختلفة أدى ذلك إلى تعدد حاجات الدولة من بينها الجانب الإداري فكان سببا في تطور الدواوين التي وضع نواتها الأولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.ومن أهم الدواوين التي عرفت في الدولة الأموية:

1- ديوان الجند :

ويعد من أهم دواوين الدولة للحاجة إليه لأداء مهام قتالية على مستوى الثغور وكذا القيام بعمليات الفتح التي كانت تمثل استراتيجية كبرى وأولوية سخرت لها كل إمكانيات الدولة السياسية والعسكرية والمالية.

ولهذه الاعتبارات نلاحظ أن الأمويين قد أبقوا على تلك السياسات التي بنى عليها عمر رضي الله عنه هذا الديوان وأقل ما يقال عنها أنها كانت موفقة .

لذلك كان ديوان الجند في هذه الفترة من أكبر دواوين الدولة ، حددت فيه مقادير الأعطيات لجميع العرب ، والجنود المقاتلة من العرب ومن غيرهم.

وهذا ما جعلنا نفهم المراجعات والإصلاحات التي يقوم بها الخلفاء الأمويين على مستوى هذا الديوان ،إليك مثلا لما خفت حركة الجيوش على مستوى الجبهة الخارجية أبطل الخليفة هشام بن عبد الملك(105-125 هـ / 724-743 م) الاعطاءات لمن لا يقوم بالعمل العسكري بنفسه أو لم يبعث بمن ينوب عنه في ذلك واسقط اسم كل من لا يساهم بعمل الجندي في الجيش ولو كان أميرا أمويا ، وبهذه

السياسة أصبح عدد المعنيين بتلك الأعطيات محددًا في ديوان الجند ، قد وضع الخليفة المنصور العباسي هذه السياسة محل الإعجاب وأمر بتنفيذها.

2- ديوان الخراج:

ويعد من أهم الدواوين وأشهرها بعد ديوان الجند كونه يتضمن الجوانب المالية التي تمثل عصب الدولة وقوتها، من اختصاصاته جمع الخراج وموازنة الانفاقات من موارده على شؤون الدولة المختلفة ، وكان له ملحق في كل ولاية من الولايات أشبه بالإدارة المالية المحلية يجمع الخراج ثم يقوم بتحديد الانفاقات المستحقة على المستوى المحلي للولاية ، ثم يقوم بإرسال الفائض إلى عاصمة الدولة حيث الديوان المركزي الذي تجمع فيه مداخيل الأراضي الزراعية يتم ذلك عن طريق إيصالات استلام وصراف التي تعد الإثباتات التي من خلالها تتم المحاسبة والمراقبة للدواوين الفرعية على مستوى الولايات.

3- ديوان الرسائل:

وهو أول ديوان أنشأ في الإسلام قال القلقشندي ويسمى ديوان الإنشاء ومن اختصاصات هذا الديوان أن يقوم بصياغة الكتب والرسائل الصادرة من دار الخلافة كما يستقبل المراسلات الواردة إليها من الولاة والعمال ثم تعرض على الخليفة لذلك أولى الخلفاء الأمويين عناية خاصة لمن يتولى هذا الديوان من العاملين فيه حيث يختارون من يشرف عليه فيكون ممن يعرفون بالبلاغة والفصاحة والعلم بأحكام الشرع الإسلامي ومكونات اللغة العربية وبلاغتها ، وأن يكون على قدر من المروءة والأخلاق وأن يكون ذا حسب ونسب وغيرها من الشروط والمواصفات.

وقد برز عدة كتاب في العصر الأموي منهم عبيد الله الغساني سيد أهل الشام كاتب معاوية بن أبي سفيان وحسان النبطي كاتب الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد

الحميد الكاتب كاتب مران بن محمد الذي يعزى إليه صياغة الشروط والمواصفات التي ينبغي أن يتحلى بها من تصدى لهذه المهمة الرفيعة.

أما في العهد العباسي فقد كان الخليفة هو من يتولى هذا الديوان بنفسه ، حيث أورد الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب صورا للمنشورات والرسائل التي كانت ترسل إلى العمال والرعية.

وقد أفرد القلقشندي كتابا في هذا الباب ذكر فيه أخبار هذا الديوان وما ينبغي أن يحوط به صاحب ديوان الرسائل من العلوم المعارف فقال (ليس في منزلة خدم السلطان والتصرفين في مهماته أخص من كاتب الرسائل فإن أول من داخل على الملك وآخر خارج عليه ولا غنى له من مفاوضته في آرائه والإفضاء إليه بمهامه وإطلاعه على حوادث ديوانه فهو لذلك لا يثق بأحد من خاصته ثقته به...).

ومن الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها صاحب هذا الديوان أن يكون طلق اللسان فصيح الألفاظ ، أصيلا شريفا في قومه جادا غير هازل ملازما لديوانه غير مفرط في عمله حتى يكون قدوة لسائر المنتمين لهذا الديوان.

ومن اختصاصات صاحب ديوان الرسائل:

1- يوقع على الرسائل الصادرة إلى الولاة والعمال والموظفين في مختلف الولايات فيما يتعلق بشؤون الدولة المختلفة.

2- كما ينظر في الرسائل الواردة من مختلف الولايات .

3- الرد على الخطابات المستعجلة في حينها التي لا تحتمل التأجيل.

4- المراقبة والنظر في الألقاب التي تضمنتها الرسائل من حيث صحتها حتى لا يزداد فيها ولا ينقص بفعل التزوير .

5- يعمل كرئيس العمل في الديوان فيطلع على ما يكتب في الديوان فيوقع عليه بعد موافقته.

6- الاشراف على جميع متعلقات الديوان ومستحقات.

7- يسند إليه كذلك النظر في أبراج الحمام الزاجل الذي يس

8- النظر في أمر السعاة الذين يحملون الرسائل في حال تعذر وصولها عن طريق

البريد.

9- النظر والقيام على المنارات والمحروقات التي تكون في قمم الجبال توقد فيها

النار تستعمل في اتصالات المخابرات.

10- يشرف على العيون والجواسيس.

4- ديوان الخاتم:

واتخذ الخاتم كوسيلة لمكافحة التزوير الذي قد تتعرض له المراسلات الرسمية، فاتخاذها لا يعني ختم الرسالة في أسفلها كما هو عليه الحال اليوم، وإنما كانت الرسالة تطوى ويلصق طرفها بعد طيها بالشمع أو بالطين الأحمر الذي يطبع عليه بخاتم الخلافة ثم يترك حتى يجف فإذا فتحت الرسالة قبل أن تصل إلى المرسل إليه عرف ذلك.

ويعزى وضع هذا الديوان إلى الخليفة معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه ، حيث وأورد الصولي¹ في أدب الوزير لما وضع ديوان الخاتم ولّى عليه عبيد بن أوس النسائي وأعطاه خاتما نقش عليه " لكل عمل ثواب " ، وروي أن سبب اتخاذ معاوية للخاتم أنه كتب لعمر بن الزبير بمائة ألف درهم تصرف له من بيت المال بالعراق وكان عامل العراق آنذاك زياد بن أبيه فقام عمرو بن الزبير بتصحيح الكتاب

¹ - الصولي أدب الوزير.ص154.

وجعلها مئتي ألف درهم ، وعندما رفع زياد حسابه إلى معاوية فلاحظ الفارق فقال معاوية ما كتبت له إلا بمئة ألف ، فكتب إلى زياد يأمره بأخذ المئة ألف منه وأن يقبض عليه ويوجه له تهمة التزوير ، فدفعها عنه عبد الله بن الزبير لمعاوية وأطلق وسراحه، فكان ذلك سببا في اتخاذ تدبير مناسب لمكافحة التزوير بأن تحفظ نسخة عن كل ما يوقع من المراسلات والحسابات في ديوان الخاتم للرجوع إليها عند الضرورة.

وكان من اهتمامات الأمويين بشأن هذا الديوان أن أنشأوا دارا للمحفوظات الرسمية وقد أخبر الجهشيارى أن هذا الديوان قد ظل قائما ألى عهد الخليفة الأمين العباسي (193-198 هـ)¹.

5- ديوان الطراز:

الطرز هو ما ينسج من الثياب ، وقد أطلق على المكان الذي تنج فيه الملابس الرسمية والشارات والأعلام².

ويبدو أن كلمة الطراز هي من الألفاظ الفارسية المعربة ، أخذت من لفظ (نرازين)يعني التطريز وعمل المدبج ، وأصبح بعد ذلك تطلق على الملابس الرسمية للخلفاء حيث كانت تحلى هذه الملابس بأنواع من التطريز وأشرطة من الكتابة ، ثم استقر مدلول هذا اللفظ إلى الدلالة على الموضع الذي تنسج فيه مثل

¹ - غير أن فون كريمر وسيد أمير علي ومينز يرون أنه حل ديوان التوقيع محل ديوان الخاتم في أوائل العهد العباسي ، وعللوا ذلك بقولهم أن جعفر البرمكي قد تولى رئاسة ديوان التوقيع في عهد الرشيد (170-193هـ) وعرفت الأوامر الصادرة باسم التوقيعات ، إلا هناك من المصادر من ذكرت تذكر ديوان الخاتم في عهد المأمون. وهذا ما يوحي بأن ديوان الخاتم ظل قائما مع ظهور ديوان التوقيع لفترة من الزمن فحل الثاني محل الأول.

² - الجوهري، الصحاح ، ج6، ص880. الزمخشري ، أساس البلاغة ، ج5 ، ص39. ابن فارس معجم مقاييس اللغة ، ج3، ص466.

هذه الألبسة ، كما يطلق هذا اللفظ على الكتابات الرسمية التي كانت تكتب على القراطيس وأوراق البردي العربية¹.

لما فتح المسلمون البلدان اطلعوا على الآثار الحضارية للفرس والروم ، فكان الطراز من الأمور التي أخذها المسلمون عن الروم ، إلا أن الرسومات والأشكال التي كانت تزين تلك الألبسة لم تكن لتتسجم مع عقيدة الإسلام فعوضت بكتابات تتضمن قيم الإسلام ، ولما كان عهد عبد الملك بن مروان عندما اطلع على مضمون تلك الكتابات التي تدل على عقيدة النصارى والتي تعد من أغلظ الأمور في الدين الإسلامي ، فكتب إلى أخيه عبد العزيز بن مروان واليه على مصر بأبطال هذا الطراز وأن تستبدل تلك العبارات بنصوص إسلامية كالشهادتين ، وأمر أن يعمم ذلك على سائر البلاد الإسلامية ، وإبطال القراطيس المطرزة بطراز الروم².

واستجابة لهذه السياسة اهتم الخلفاء ببناء دور النسيج لصناعة أثوابهم وهي إضافة أخرى للحد من التبعية وتحقيق السيادة المطلقة للدولة بعد تعريب السكة كذلك والدواوين الإدارية وتخليصها من أيدي غير المسلمين من أهل الذمة، وأصبح ديوان الطراز قائما بذاته يعرف من يتولى عليه بصاحب الطراز وأسندت إليه أمور الصياغ والحياكة ، وكانت له الدور ريادة خاصة.

ولما اطلع إمبراطور على ما صار عليه الطراز عند المسلمين فسأه ذلك ، وكتب إلى عبد الملك بن مروان (إن عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم ولم يطرز بطرازهم فإنه كان يقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت ، وإن كنت قد أصبت فقد أخطئوا فاختر إحدى الحالتين).

¹ - سيدة إسماعيل كاشف ، الوليد بن عبد الملك، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1962، ص 26، 27، و 287.

² - حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د،ط)، ص 173.

وقد أردف مع خطابه هدية يسترضي بها عبد الملك بن مروان فلم يقبل منه ذلك دون أن يرد عليه فأعاد إليه أضعافها وطلب الجواب فلم يرد عليه جوابا فغضب الإمبراطور وكتب إلى عبد الملك (إنكم أحدثتم في قرطيسكم كتابا نكرهه فإن تركتموه وإلا أتاكم في الدينار من ذكر نبيكم تكرهونه)، فأثار هذا الأمر حفيظة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان فحملة على وضع سكة إسلامية مستقلة عن التبعية للروم واستشار في ذلك خالد بن يزيد بن معاوية في هذا الأمر فقال له خالد(يا أمير المؤمنين حرم دنانيرهم فلا يتعامل بها ويضرب للناس سككا ولا يقف هؤلاء الكفرة مما كرهوا في الطوامير)، فقال عبد الملك (فرجتها عني فرج الله عنك).

ومن تداعيات ذلك أن الروم لما رأوا من المسلمين عزم على كتابة النصوص الإسلامية على الطوامير كفوا عن شراء الورق العربي ففترت العلاقات التجارية بين البلدين في تلك الفترة.

الدواوين في العصر العباسي:

تطورت الدواوين في العصر العباسي بحسب الظروف التي مرت بها الدولة الإسلامية فأحدثوا دواوين جديدة ، كما وسعوا من صلاحيات الوزير وألحقوا إليه الإشراف على كل الدواوين ومن هذه التطورات:

- الاستفادة من الخبرة الفارسية في الشؤون الإدارية مع العلم أن هذا الأمر فيه كثير من التخميم والمبالغة عن استفادة العرب المسلمين من التقاليد الفارسية في هذا الشأن والأخص بهذا الأمر مؤرخو الشعوبية كالجاحظ ونجترى عبارة من عباراته المفعمة بالشعوبية إذ يقول(ولنبداً بملوك الأعاجموعنهم أخذنا قوانين الملك والمملكة

وترتيب الخاصة والعامة وسياسة الرعية وإلزام كل طبقة حظها والاقتصار على جدليتها)¹.

ويرى الدوري أن تأثر العرب المسلمين بالتقاليد الفارسية كان على مستويات محدودة فقد كان على مستوى التقاليد الاجتماعية بخصوص الزي والملابس وبعض عادات البلاط أم على المستوى التنظيم الإداري فقد كان ضئيلاً لأن أنظمة العباسيين الإدارية تختلف عن أنظمة الفرس الإدارية كما أنها استمرارا للسياسة الإدارية الأموية، ففي خلافة السفاح أعيد ترتيب وتنظيم السجلات الإدارية ، واتخذ لذلك سجلات ودفاتر عوضاً أن تكون في صحف متفرقة لصيانتها من الضياع².

وفي عهده أسندت جمعها إلى خالد بن يحيى البرمكي، ولما صادر السفاح أملاك بني أمية أنشأ ديواناً خاصاً لمتابعة هذا الأمر وعهد إلى عمارة بن حمزة ضياع محمد بن مروان وآله، وقد أحدث المنصور ديواناً مؤقتاً عرف بديوان المصادرة يبدو أنه قد ألغي في خلافة المهدي بسبب المراجعات السياسية والإدارية التي قام بها ،سجلت فيه أسماء من صودرت أموالهم ومقدار هذه الأموال³.

ولما تم بناء بغداد تم أمر المنصور بنقل بيت المال وخزانة السلاح ونقل الدواوين ومنها ديوان الرسائل والخراج وديوان الخاتم والجند وديوان النفقات والأحشام الذين كانوا يعملون في البلاط ، وديوان الحوائج الذي يعمل على جمع الرقاع وتقديمها للخليفة للنظر فيها وينصف المشتكين فيها ، وديوان الصدقات⁴.

ولما جاء الخليفة المهدي(158- 169)هـ جاءت معه سياسة المراجعات والإصلاحات فاستحكمت التنظيمات على مستوى الدواوين وقويت مراقبة أدائها

¹ - الجاحظ، أبو عثمان بن عمر بن بحر الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، القاهرة، ص23.

² - الدوري، عبد العزيز، ص172-173.

³ - الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص98. اليعقوبي، ج2، ص226، ابن الطقطقي، الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية، ص115. الدوري، ص173.

⁴ - اليعقوبي، البلدان ص11، ابن طيفور، كتاب بغداد..الدوري، المرجع السابق، ص173.

واستحدثت دواوين جديدة كدواوين الأزمّة سنة 162 هـ التي أسندت إليها مهمة في أعمال الدواوين الكبيرة سيما ما تعلق بجانبها المالي، فقد أورد الطبري (أول من عمل ديوان الزمام عمر بن بزيع في خلافة المهدي وذلك أنه لما جمعت له الدواوين تفكر فإذا هو لا يضبطها إلا الزمام يكون له على كل ديوان، فاتخذ دواوين الأزمّة وولي كل ديوان رجلاً¹.

ويبدو أن هذه الفترة كانت عهد توسع أعمال الدواوين الكبرى وتداخل صلاحياتها ومهامها الأمر الذي دعا المهدي إلى تجميع صلاحية الإشراف عليها ومراقبتها فأنشأ ديوان زمام الأزمّة الذي يبدو أنه انتشر إلى ولايات الدولة.² ومن الدواوين المستحدثة في الدولة العباسية ديوان المظالم الذي أنشأه الخليفة المهدي بغرض النظر في شكاوى العامة من تعسف الولاة وتجاوزاتهم على الرعية في تحصيل أموال الجباية، وقد جلس المهدي بنفسه للنظر في هذا الديوان، وأشرك معه القضاة والفقهاء للنظر في المظالم³.

ومن إضافات الخليفة المهدي على مستوى التنظيم الإداري وتسيير شؤون الدواوين أن حدد أوقات عمل الكتاب بها وأيام عطلم فجعل يوم الخميس يستريح فيه الكتاب لينظروا في شؤونهم الخاصة ويوم الجمعة للصلاة العبادّة.

وفي عهد الخليفة الرشيد ظهر ديوان الصوافي للنظر في أمور الأراضي التابعة للدولة وكذلك أملاك الخليفة وأسرته باعتباره رئيساً للمسلمين، المنتشرة في أنحاء الدولة المختلفة⁴.

كما ظهر ديوان الجهبذة في عهد الخليفة المأمون وهو فرع من فروع بيت المال اتخذ

¹ - الطبري، ج8، 142.

² - الجهشباري، المصدر السابق، ص168. الدوري،

³ - ابن الساعي، مختصر تاريخ الخلفاء العباسيين، ص20، ابن الطقطقي، الفخري في الأداب السلطانية، ص131. جميل نخلة المدور، حضارة الإسلام في دار السلام، ص65-66.

⁴ - نفسه، ص175.

للنظر في حسابات بيت المال من حيث مواردها وقد أورد التنوخي ما يشير إلى أن هذا الديوان قد نشأ على عهد الخليفة المأمون فذكر قصة عن شخص أصبح عند المأمون (جهبذه وصاحب بيت ماله) ويصف محل الجهبذ ، يقول الراوي "دخلت الدار .. وفيه مجالس كثيرة مفروشة بفرش ظاهرة ، وفي صدره شاب بين يديه كتاب وجهابذة وحساب يستوفيه عليهم وفي صفحات الدار ومجالسها جهابذة بين أيديهم الأموال والتخوت والشواهين يقبضون ويقبضون"¹.

وفي عهد الخليفة المتوكل أنشأ ديوان الموالي والغلمان للنظر في شؤون الموالي المرتبطين ببلاط الخليفة².

وقد كان للدواوين المركزية عند نشأتها دواوين مماثلة لها على مستوى الولايات ، فقد ذكر أن في زمن الرشيد كان لديوان الخراج المركزي تمثيل على مستوى الصرة ونواحيها والكوفة ونواحيها وديوان خراج مصر و خراسان ، في عهد هيمنة الأتراك صار التمثيل بشكل عكسي بحيث كان لكل ولاية ديوان خاص في العاصمة بغداد للنظر في شؤونها، ثم ما لبثت أن جمعت كل الدواوين في ديوان واحد عرف بديوان الدار أو الديوان الكبير زمن الخليفة المعتضد (279-179هـ) وقد ولي عليه أحمد بن الفرات، ثم جاءت بعد ذلك أمور الولايات الشرقية والغربية فجعل للأولى ديوان المشرق وللثانية ديوان المغرب، وظلت أمور السواد (العراق) على حالها والظاهر أن ديوان الدار بقي دائرة مركزية لهذه الدواوين³.

كما أنشأ ديوان البر والصدقات في مطلع القرن الرابع الهجري من طرف علي بن

¹ - التنوخي ، الفرغ بعد الشدة ، ج2، ص39-40. الدوري، المرجع السابق، ص 174.

² - اليعقوبي ، البلدان ، ص23.

³ - أبو الحسن هلال بن المحسن الصابي ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص131-132. آدم ميتز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج1، ص124.

عيسى للنظر في شؤون الأوقاف التي وقفها الخليفة بالعراق وكانت عائداته نحو ثلاث وتسعون ألف دينار على الحرمين الشريفين وحماية ثغور الدولة¹.

ديوان البريد ويرجع أصل نشأته إلى العهد الأموي وقد كانت تستعمل فيه البغال والخيول والإبل في المسالك الصحراوية ، وكانوا يعتمدون على الساعة السريعي الجري سيما في العصر البويهي ، قال الحسن بن عبد الله " وأهل العراق يتغالون في السعادة وهم رجال خفاف تعودوا على الجري والصبر على السير لقطع ثلاث مراحل في مرحلة"² ، وكانت ترد الأخبار إلى صاحب البريد الكتب من النواحي المختلفة ، ويتم عرض الأخبار من جميع النواحي على الخليفة ، وقد يجتمع الخليفة مع أهل الشأن للنظر في المستجدات³.

وينتسب لهذا الديوان أتباع ينتشرون في مختلف الأقاليم يعرفون بولاية البريد وقد كان لهم إمام واضح بشؤون الرعية على أيام المنصور فيما يتعلق بالأسعار في الأسواق وأحوال القضاة والموارد المالية لبيت المال وغيرها من الشؤون⁴، فيروي الطبري (إن البريد في الأفاق كلها كانوا يكتبون إلى المنصور أيام خلافته بسعر كل مأكول ، وبكل ما يقضي به القاضي في نواحيهم ، وبما يعمل الوالي، وبما يرد بيت المال من المال ، وكل حدث وكانوا إذا وصلوا إلى المغرب يكتبون إليه بما كان في كل ليلة)⁵.

ومما يؤكد ذلك فقد وردت مراسلة إلى صاحب البريد ترجع إلى سنة 315 هـ يطلب منه (أن يعرف حال عمال الخراج والضياح فيما يجري عليه أمرهم ويتتبع ذلك تتبعا شافيا ويستشفه استشفافا بليغا وينهيه على حقه وصدقه و أن يعرف حال عمارة

1 - الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ص 37-38.

2 - العباسي ، آثار الأول في ترتيب الدول ، ص 88.

3 - قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص 184 ، الدوري، النظم ، 179.

4 - الدوري، النظم ، 179-180.

5 - الطبري، المصدر السابق، ج 8 ، ص 96.

البلاد وما هي عليه من الكمال والاختلال ، وما يجري في أمور الرعية فيما يعاملون به من الإنصاف والجور والرفق والعسف فيكتب به مشروعاً ، وأن يعرف ما عليه الحكام في حكمهم وسيرهم وسائر مذهبهم وطرائقهم ، وأن يعرف حال دار الضرب وما يضرب فيها من العين والورق ، وما يلزمه الموردون من الكف والمؤن ، ويكتب بذلك على حقه وصدقه ، وأن يوكل بمجلس عرض الأولياء وأعطياتهم من يراعيه ويطلع ما يجري فيه ، ويكتب بما تقف عليه الحال من وقته وأن يكون ما ينهيه من الأخبار شيئاً يثق بصحته وأن يفرد لكل صنف من أصناف الأخبار كتاباً بأعيانها فيفرد لأخبار القضاة وعمال المعاون والأحداث والخراج والضياع وأرزاق الأولياء ونحو ذلك كتباً ليجري كل كتاب في موضعه)¹.

¹ - آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج1، ص129.

الكتابة:

لم يهتد العرب إلى مزاوله القراءة والكتابة إلا بعد مجيء الإسلام وقد وصفهم القرآن الكريم بالأمية تعبيراً عن تلك الحالة في قوله تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)¹.

لذلك لم تعرف بلاد الحجاز قبل الإسلام ثقافة قديمة، كما لم يُعرف لسكانها من العرب مساهمات في المدنية المحيطة بهم التي عرفها كل من الأنباط والتدمريون والغساسنة والخميون، هذا إذا استثنينا حضارة عرب الحجاز الموعلة في القدم التي لم يبق من مظاهرها غير الأساطير والخرافات، وقد خلد القرآن الكريم ذكر هذه الحضارة فقد وصف حضارة أهل اليمن بقوله (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)²، وقوله تعالى (أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا)³.

فلم يرد إلى الحجاز من تلك المدنيات وغيرها إلا إشارات من اليهودية والنصرانية وقليل من الحكمة والفلسفة، فقد كانت قريش من خلال رحلتها في الشتاء والصيف على تواصل مع بعض الشعوب المحيطة بها كالأحباش في الجنوب والفرس في الشرق والروم في الشمال⁴.

¹ - سورة الجمعة الآية 2.

² - سورة سبأ الآية 15.

³ - سورة الروم الآية 9.

⁴ - رابح أولاد ضياف، الجراية في الدولة الإسلامية من صدر الإسلام إلى سقوط بغداد (1هـ-656هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، 2015، ص 119.

ومن خلال ذلك الاحتكاك والاتصال كانت لهم معرفة بسيطة بالكتب المنزلة فاتبعت بعض قبائل العرب اليهودية كأهل يثرب ، والنصرانية في الشمال ونجران والحيرة ، ولم يكتف العرب من الحضارات القديمة بذلك الحظ القليل لذلك كانت مساعيهم حثيثة للاستفادة من الأمم المحيطة بهم ، ولأسباب تاريخية أهملت هذه المرحلة من تاريخهم وعرضت بصورة مشوهة تجعل منهم متخلفين عن الركب الحضاري الذي كانت عليه الأمم المجاورة لهم¹.

لذلك فالعلم بالقراءة والكتابة عند العرب كان قليلا ومحدودا جدا ، وكان مقتصرًا على بعض الأعيان من الأثرياء ووجهاء القوم من المكيين ، وأول من تعلم الكتابة العربية من أهل مكة سفيان بن أمية بن عبد شمس، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة وقد تعلموا ذلك من بشر بن عبد الملك الذي تعلمها من الحيرة².

وتذكر رواية لابن خلدون أن الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية بن عبد شمس ويقال حرب بن أمية الذي أخذها عن أسلم بن سدره³.

ويرى ابن خلدون أن الكتابة من الصنائع الحضرية ، وأنها صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان التي ميز بها عن الحيوان ، فهي تطلع على ما في الضمائر ، وتتأدى بها الأغراض إلى البلاد البعيدة ، فتتقضي الحاجات وقد دفعت مؤونة المباشرة لها، ويطلع بها على العلوم والمعارف⁴ ، ويذكر البلاذري أن أول من

¹ - محمد الزاهي : الخلفية التاريخية عند المسلمين و أثرها في المدارس العلمية، مقال بمنشورات جمعية لدور حول المدارس العلمية العتيقة ، مطبعة فضالة ،المحمدية ، 1996،ص 34-35.

² - البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود : فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1988، ص 453 .

³ - مقدمة ابن خلدون، مراجعة سهيل زكار و خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت، 2001 ، ص525.

⁴ -ابن خلدون : المصدر السابق ، ص524.

اتخذ هذه المهنة هو رجل من وادي القرى¹ أقام بها وعلم أناسا بها الخط. لذلك لم تكن الحالة الفكرية والاجتماعية للبيئة العربية قبل الإسلام ملائمة لانتشار القراءة والكتابة ، وقد أدركهم الإسلام على ذلك فلم يكن من المكين من يقرأ ويكتب إلا سبعة عشرة رجلا فحسب².

ويظهر أن عدم الدراية بالقراءة والكتابة هي الحالة السائدة في البيئة العربية قبل الإسلام³.

وبعد مجيء الإسلام أولى أهمية كبرى للقراءة والكتابة، وضرورة التعلم وطلب العلم، لأن ما جاء به الإسلام من عقيدة وتشريع لا يدرك إلا بذلك، كما أن ما صارت عليه الحياة العربية بعد الإسلام تحتاج إلى القراءة والتدوين ، لذلك ظهرت كثير من الظروف والأسباب التي جعلت الناس يتجهون نحو تعلم القراءة والكتابة⁴.

¹ - وادي القرى: وهو وادي بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى ، فتحها النبي صلى الله عليه وسلم عنوة سنة سبع بعد أن دعاهم إلى الإسلام فامتنعوا عليه وقاتلوه ففتحها عنوة ، وغنم أموالها وأصاب المسلمون منهم أثاثا ومتاعا فخمس ذلك وترك النخل والأرض في أيدي اليهود وعاملهم على ما عامل عليه أهل خيبر. ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج 5 ، ص 345.

² - البلاذري :المصدر السابق ، ص 453.

³ - لأن هناك من الباحثين من يرى أن القول بعدم تحكم عرب ما قبل الإسلام في القراءة والكتابة أمر يحتاج إلى دراسة وتحقيق، وأن هناك من الأبحاث المتعلقة بأمر الكتابة تؤكد وجود آلاف من النقوش للخط العربي بأنواعه منها ما يعود إلى عهد قديم ، ومنها القريب من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، لذلك فإن وجود السجلات المنقوشة على الحجر وغيره يعني وجود سجلات أخرى مكتوبة على أوراق البردي أو الرق أو سعف النخيل ، ويرون أن القرآن الكريم قد أكد ذلك لما جاء في قوله تعالى في سورة الفرقان الآية 5 (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اِكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) وكذلك في سورة الإسراء الآية 90/92 (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كَيْسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَبِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه فَلَنْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) وكذلك قوله في سورة الطور الآية 1/3 (وَ الطُّورِ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ) وكذلك في سورة القلم الآية 1 (ن، وَالْقَلَمِ، وَمَا يَسْطُرُونَ) وهذه النصوص تشير إلى دراية العرب بالكتابة. أنظر: حسين محمد سليمان، التراث العربي الإسلامي دراسة تاريخية ومقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 203-204.

⁴ - رابع أولاد ضياف ، المرجع السابق، ص 122.

1- الكتابة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم:

بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وانتصار الدعوة الاسلامية وقامة دولة الاسلام بالمدينة أخذ عليه السلام في العمل على نشر الدعوة في كامل الجزيرة العربية وخارجها لذلك اعتمد على الكتابة كوسيلة للقيام بذلك لكتابة عهود الصلح والأمان ومراسلة ملوك وأمراء العالم هذا فضلا عن حاجته إلى الاعتماد على الكتابة لتدوين القرآن الكريم لذلك اتخذ كتبة كانوا يكتبون بين يديه ممن

يجيدون القراءة الكتابة الذين كان غالبيتهم من قريش لقوله فيهم "قريش أهل الله وهم الكتبة الحسبة"، وقد كان أولئك الكتبة يكتبون له في الشؤون المختلفة فقد كان عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب يكتبون الوحي فإن غابا كتب بدلا عنهما أبي بن كعب وزيد بن ثابت¹.

وكان هناك من يكتب في شؤونه وحوائجه ومن يكتب بين الناس، أو في شؤون القبائل والمياه وفي دور الأنصار وبين الرجال والنساء ، ومن كان يكتب غنائم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن يكتب له إلى ملوك وأمراء العالم ليدعوهم إلى الاسلام².

2- الكتابة في عهد الخلفاء الراشدين:

ظلت الكتابة تضطلع بالأهمية التي كانت عليها في عهد النبي صلى الله عليه و سلم ، ففي خلافة أبي بكر اتخذ كل من عثمان بن عفان و زيد بن ثابت ككاتبين له ، كما اتخذ عمر كل من زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم لغرض الكتابة له في شؤون المسلمين والدولة ، وقد ورد أن عمر كان يهتم بالكتابة بشكل خاص فكان يقدم النصائح للكتاب والعمال : (إن القوة على العمل ألا تؤخروا عمل اليوم على

1 - الجهشيلري، الوزراء والكتاب، ص 12.

2 - نفسه.ص.12.

الغد فإنكم إن فعلتم ذلك تراكمت عليكم الأعمال فلا تدرّون بأيها تبدؤون وأيها تأخذون) وفي عهد عمل على إنشاء الدواوين وكان يكتب له الضحاك بن قيس يكتب له على ديوان الكوفة¹.

وفي خلافة عثمان رضي الله عنه فقد عهد بتنظيم دواوين الدولة في الكتابة وغيرها إلى أمهر الكتبة وهم مروان بن الحكم الأموي وابنه عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث ، أما في عهد علي بن أبي طالب فقد كان هو نفسه من امهر الكتاب وأعلم بالكتابة وضوابطها وأكثرهم بلاغة وخطابة

وكتبه ووصياه التي بعث بها إلى عماله أيام خلافته ومن أبلغ كتبه قوله (أما بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخّطت ربك، وعصيت إمامك ، وأخزيت أمانتك ، بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك ، وأكلت ما تحت يديك ، فارفع إلي حسابك ، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس والسلام)².

وقد اتخذ مجموعة من الكتاب للإشراف على شؤون دواوين الدولة منهم سعيد بن نجران وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن جبيرة.

3- الكتابة في العصر الأموي:

وقد عرفت الكتابة في العصر الأموي تطورا من حيث الاستخدام والاعتماد عليها في تنظيم الشؤون الإدارية للدولة ، تماشيا مع ما صارت عليه التشابك والتعقيد ، لذلك اعتمد الخلفاء الأميين على عدد كبير من الكتاب ، فكان على رأس كل ديوان كاتب بمثابة أمين عام أو رئيس الديوان حيث نجد كاتب الخراج وكاتب الجند وكاتب الشرطة وكاتب القاضي وكاتب الرسائل وكان هذا الأخير يشكل أهمية مميزة لأنه يكتب رسائل الخليفة ومن ثم فهو مطلع على أحوال الدولة من خلال المرسلات التي

1 - نفسه ص16.

2 - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج2، ص141.

تخرج من دار الخلافة ، لذلك كان يختار من أقرب الموالين للخليفة لضمان السرية¹.

لكن محدودية التحكم في الكتابة وقلة العارفين بها مثلما تقدم قد فسح المجال لأهل الذمة أن يعلو شأنهم في أمر الكتابة في الدولة الإسلامية فرفعت منهم بعض الكتاب مثل سرجون بن منصور فقد كان روميا خامل الذكر فرفعته الكتابة فكتب لمعاوية ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان واتسعت فئة الكتاب في الدولة الأموية فصاروا يمثلون شريحة اجتماعية ذات نفوذ في الدولة ، إلا أنه بفعل انتشار الثقافة الإسلامية العربية واتجاه الدولة

نحو تعريب ادارتها قد زاد من عدد الكتاب المسلمين في مختلف دواوين الدولة ، فبرز عدد منهم مثل عبد الله الغساني وحسان النبطي وعبد الحميد الكاتب ،وقد روي أن عبد الملك بن مروان قد بلغه أن أحد الكتاب قد قبل هدية فقال له: "أقبلت هدية منذ وليتك ،فقال له:أمورك مستقيمة ،والأموال دارة ، والعمال محمودون، وخراجك موفور ،فقال ل:أخبرني عما سألتك عنه ؟ فقال : نعم ، قد قبلت ، فقال له : والله إن كنت قبلت هدية لا تنوي مكافأة المهدي لها إنك أثيم دنيء وإن كنت قبلتها تستكفي رجلا لم تكن تستكفيه لولا لها إنك لخائن ،وإن كنت تعوض المهدي عن هديته وألا تخون له أمانة ولا تلثم له ديننا فلقد قبلت ما بسط عليك لسان معامليك ، وأطمع فيك سائر مجاوريك ويسلبك هيبة سلطانك"²

4- الكتابة في العصر العباسي:

وزاد الاهتمام بالكتابة في العصر العباسي بزيادة عدد الكتاب ووظائفهم وأصبحت الكتابة وسيلة تشمل قطاعات مختلفة في الدولة منها السياسية والاقتصادية والثقافية

¹ - ابن خلدون ، المقدمة، ص205-206.

² - الجهشيارى، المصدر السابق، ص38- و 43-44.

وتمركز أغلب الكتاب بالعاصمة بغداد ، وكانت مهمتهم الاشراف على واردات الدولة ونفقاتها¹ .

ولم يقتصر عمل الكتاب على حاجة الخلفاء فقط بل كان السلاطين والأمراء وعمال الأقاليم يتخذون كتابا يعهدون إليهم بتنظيم شؤون ما عليه من الولاية ، فكانت الكتابة مطية لبعض الكتاب لارتقاء المناصب العليا في الدولة كالوزارة وقيادة الجيش ومن مظاهر تطور الكتابة في العصر العباسي أن ظهرت تخصصات لدى الكتاب، حيث ظهر عدد من أنواع الكتاب المتخصصين مثل كاتب الخراج ، وكاتب الأحكام وكاتب المعونة وكاتب الجيش وكاتب الرسائل وغيرها من الاختصاصات².

ونظرا لأهمية الكتابة وتداولها بشكل واسع في الدولة العباسية ظهر الاهتمام بالتنظير والتعديد لها والتصنيف في شأنها وآدابها وما ينبغي أن يكون عليه الكتاب من دراية بشأن الكتابة وهياتها و أدواتها، فقد أوصى عبد الحميد الكاتب للكتّاب أن يكون الكاتب " قد نظر في صنف من صنوف العلم فأحكمه فان لم يحكمه شدا منه شدا يكتب به فتنافسوا معشر الكتاب في صنوف العلم والأدب وتفقهوا في الدين وابدؤوا بعلم كتاب الله عز جل والفرائض ثم العربية فإنها ثقافة ألسنتكم وأجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فإن ذلك معين لكم على ما تسمون إليه بهمكم ولا يضعف نظركم في الحساب ، فإنه قوام كُتّاب الخراج منكم"³.

وقد ذكر بعض المهتمين بشؤون الكتابة بعض الشروط التي يتوجب توفرها في الكاتب منها:

1 - ياقوت الحموي، معجم الأدباء ، ج2،ص20.

2 - التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج2،ص26.

3 - الجهشياري ، المصدر السابق، ص74-75.

- العلم بتواريخ الأمم والملوك ، ومدخل سنينهم وشهورهم وتقويم ذلك .
- الاطلاع على عادات وتقاليد وما ألفوه من أمورهم وقراءة كتبهم وسيهم كالفرس .
- معرفة سيرة الخلفاء وتاريخهم كل منهم لإنشاء الكتب .
- الدراية بأساليب اللغة ومكوناتها ومعرفة الضروري منها كعلم البديع .
- معرفة المغازي والسير والحروب .
- العلم بصناعة الكلام .
- العلم بالأشكال والقياسات والمساحة ، كمعرفة مثلث الأشكال المثلثة من غيرها ، و مساقط الأحجار والمربعات .
- العلم بأدوات الكتابة كالقلم والحبر وأنواع الخط وهيئته¹ .

وقد زخر العصر العباسي بمجموعة من الكتاب المتميزين منهم يحيى بن خالد البرمكي والفضل بن الربيع في عهد هارون الرشيد والفضل والحسن ابنا سهل واحمد بن يوسف في عهد المأمون ومحمد بن عبد الملك الزيات والحسن بن وهب وأحمد بن المدبر في عهد المعتصم والوائق² .

5-الكتابة في عهد الطوليين:

كان الكتاب في مصر قبل الأخشديين يقومون بأعمال الوزير وإن لم يتسموا بالوزراء ، وقد اتخذ أحمد بن طولون كاتباً له ، ولما أنفذه إلى سامراء في ذلك الحين اتخذ رجلاً من أهل مصر كاتباً له ، وقد اعتمد ابن طولون على سياسة استخدام المصريين في المناصب المهمة في الدولة ليتألف قلوبهم ، كما اتخذ ابن طولون كاتباً يعرف بكاتب السر وهو بمثابة الأمين الخاص بالسلطان، كما اتخذ كاتب

¹ - ابن فرحون، جوامع العلوم، ص24. ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص12.

² - حسن ابراهيم ، المرجع السابق، ص139.

الإنشاء والمراسلات ومهمته كتابة المراسلات التي يبعثها السلطان على غيره من الملوك والأمراء وما يترتب عن ذلك من تبادل الرسائل معهم¹.

6- الكتابة فيعهد الفاطميين:

احتلت الكتابة عند الفاطميين المرتبة التي تلي الوزارة فعدت من المناصب العالية ، فلا تسند إلا لمن كانت له الكفاءة العالية والقدرة على النظر في الأمور فكانت مطية لاعتلاء منصب الوزارة ، فقد اختار المعز لدين الله الفاطمي جوهر الصقلي كاتباً له سنة 341 هـ الذي أبدى كفاءة عالية عند توليه للكتابة بين يدي المعز ، كما كان الكاتب عند الفاطميين يقوم بتصريف الأعمال عوضاً عن الوزير إذا ما استغنى عنه الخليفة، وكان يعرف بصاحب الوساطة².

¹ - نفسه ، ص 143.

² - نفسه ، ص 143.

السكة الإسلامية:

عرف عرب ما قبل الاسلام أنواعا من العملة النقدية من الذهب والفضة التي كانوا يتحصلون عليها من الممالك الأخرى التي كانت لهم معها معاملات تجارية فعرفوا الدينار الذهبي البيزنطي وعرفوا كذلك الدراهم الفارسية منها (السود الوافية البغلية) و(الطبرية) و(الجوراقية) ، وإلى جانب الدنانير والدراهم فقد عرفوا النقود النحاسية منها الحبة والدانق، وقد ظلت هذه المسكوكات الأجنبية هي العملة الرسمية بأحجامها وأوزانها المعروفة إلا ما طرأ عليها بفعل الفساد الذي حدث في أواخر الحكم الفارسي، فصار وزن الدرهم والدينار في الاسلام نصف وزنه في الجاهلية¹.

1- العملة زمن النبي صلى الله عليه وسلم:

أبقى النبي صلى الله عليه وسلم على وأبو بكر رضي الله عنه عن تلك المسكوكات التي تعامل بها العرب قبل الاسلام على اعتبار أنها لم تكن من أولويات البناء والتأسيس للدولة الإسلامية الفتية لذلك لم يلتفت كل منهما لسك عملة إسلامية وتأخر ذلك تقريبا الى العصر الأموي.

2- العملة زمن الخلفاء الراشدين:

أما في خلافة عمر رضي الله عنه لمل رأى اختلاف قيمة الدراهم المتعامل بها في مختلف الأمصار التابعة للدولة الإسلامية فعمل على توحيد قيمة الدراهم فكان الدرهم البغلي 8 دوانق والطبري 4 دوانق والدرهم المغربي 3 دوانق واليمني دانق واحد فجعل قيمة الدرهم الموحد 6 دوانق².

كما ضرب عمر بن الخطاب درهما على هيئة ووزن الدرهم الفارسي وزاد في نقشها عبارات إسلامية مثل (الحمد لله) و(محمد رسول الله) و(لا إله إلا الله

¹ - المقرئزي، كتاب النقود، ص21-24. البلاذري، فتوح البلدان، ص47. الكرملی، النقود العربية، ص89.

² - المقرئزي، كتاب النقود، ص30. الماوردی، الأحكام السلطانية، ص147.

وحده)، ولما حدثت بعض عمليات التزييف للعملة حيث قام الفرس بطرح عملة زائفة غشوا فيها فساء عمر هذا الأمر ففكر حسب رواية للبلاذري أن يتخذ العملة من جلود الإبل وربما هي فكرة سبق بها عمر في اتخاذ الورق النقدي، لذلك بعد حادثة الزيف أمر عمر عامله على بيت المال بالعراق عبد الله بن مسعود أن يكسر الدراهم التي تم التلاعب بوزنها وتحويلها الى مادتها الأولية من الفضة¹. ويذكر بعض المؤرخين أن خالد بن الوليد هو أول من ضرب عملة للمسلمين سنة 15 أو 16 هـ في طبرية ومائلها برسم الدنانير البيزنطية².

أما في عهد الخليفة عثمان فقد ضرب دراهم في خلافته ونقش عليها (الله أكبر)، أما في عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلم تكن فترة حكمه لتسمح له بالالتفات إلى سك العملة لانشغاله عن ذلك بما حدث من فتن واختلاف الأمة وافتراقها³.

3- العملة في عهد بني أمية:

أوردت المصادر التاريخية رواية تفيد أن معاوية بن أبي سفيان في أيام خلافته كتب إلى عامله على العراق زياد بن أبيه لضرب عملة جديدة غير عملة عمر بن الخطاب فضرب معاوية الدراهم السود الناقصة وجعل وزن الدرهم يعادل 6 دوانق ، كما ضرب الدنانير ، وضرب ابن زياد درهما ونقش عليه اسمه⁴.

وفي فترة خروج ابن الزبير على الأمويين بالحجاز ضرب عملة جديدة وكانت دراهم مستديرة الشكل ونقش على علي وجهيها (محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (أمر

1 - المقرئزي كتاب النقود ، ص 32. البلاذري ، فتوح البلدان ، 473 و476.

2 - الكرمللي النقود العربية، ص91.

3 - المقرئزي ، كتاب النقود ، ص 22-23.

4 - المقرئزي ، المصدر السابق، ص23.. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 473.

الله بالفداء والعدل) كما ضرب سنة 70هـ مصعب عامله على العراق بأمر من أخيه الخليفة دراهم مثل الدراهم الفارسية وفرقها على الناس وكتب على وجهي الدرهم (بركة) وعلى الآخر (الله) كما ضرب بعض الدنانير ولما ظفر الحجاج بابن الزبير وكافأه عبد الملك بن مروان بولاية العراق فقام بكسر عملة ابن الزبير¹.

ونظرا لعدم استقرار الأوضاع السياسية في بداية الحكم الأموي لم تستقر العملة كذلك لذلك كان لأمرء الولايات دور ضرب فيها تضرب العملة دون أن يكون ذلك عملا ساريا على جميع أمصار الدولة فأثر هذا الوضع على قيمة النقد فكان ذلك مدعاة للتلاعب بالسكة فحل فيها التزييف وعدم الوفاء في الوزن².

لكن سرعان ما تأكدت سيادة الدولة الأموية على مستوى المعاملات المالية بعد أن ضرب عبد الملك بن مروان السكة الإسلامية وتحررت الدولة الإسلامية من الهيمنة والتبعية الأجنبية في هذا المجال ويرجع المؤرخون السبب فيما أقدم عليه عبد الملك بن مروان إلى عدة مرويات أوردتها المصادر منها : أنه لما كتب في صدر كتابه إلى الروم (قل هو الله أحد) فأثار ذلك امتعاض ملك الروم واستيائه فهدد المسلمين بأن ينقش على وجه الدينار ما يسيء إلى عقيدتهم -وهو آنذاك عملة دولية تهيمن على المعاملات التجارية - بينما ابن خلدون يرى أن هذه المبادرة جاءت بسبب الوضع الذي صارت عليه العملة من التلاعب والغش والتزييف وغيرها من الأسباب التي ذكرها المؤرخون³.

¹ - المقرئزي كتاب النقود ، ص33-34. الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص148. البلاذري، فتوح البلدان 471و473.

² - سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص165.

³ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج4، ص173. ابن خلدون ، المقدمة صص830.

وأول ما ضرب من العملة الأموية فقد ضرب عبد الملك الدينار والحجاج ضرب الدرهم بالعراق سنة 75 هـ ثم عممت على الأمصار بعد أن حدد الوزن الرسمي للدرهم من طرف الدولة ، ونقشت عليها بعض النصوص الاسلامية مثل (بسم الله) ووعلى الوجه الآخر (الحجاج) ونقش على دراهم أخرى (الله أحد* الله الصمد)وسميت هذه الدراهم بالمكروهة لأن الفقهاء كرهوا كتابة إسم الله على العملة¹. كان أول ما ضرب عبد الملك بن مروان من الدنانير الذهبية سنة 73 هـ وعرفت بالدنانير العبدية نسبة إلى عبد الملك ، وقد هيا عبد الملك للعملة الجديدة تدوالها على مستوى أمصار الدولة بأن كتب إلى جميع عماله بوجوب التعامل بها وجعل عقوبة من استهان بهذا الاجراء القتل حتى يضمن التعامل بايجابية وجدية مع هذا القرار المهم سياسيا و واقتصاديا كما دعا الى تحويل العملة القديمة وضربها من جديد على هيئة العملة الجديدة².

يبدو أنه لضمان نجاح مشروع السكة الجديدة فقد أعد لها الخليفة الأموي كل الوسائل المادية والسياسية ،كما قيض لها أهل الحزم والعزم من عماله فعهد بالأمر الى الحجاج بن يوسف الذي اتخذ دارا للضرب وجمع لها من الطباعين ليقوموا بسك العملة الجديدة ،فكانت هذه الدار تزود الخزانة الأموية بما تحتاجه من عملة ، وقد كان شكل هذه العملة بأن جعل الدينار والدرهم مستديرين وكتب عليهما في دوار متوازية وكتب على أحد الوجهين ذكر الله ورسوله وعلى الوجه الآخر اسم الخليفة وتاريخ الضرب³.

1 - ابن قتيبة ،الأخبار الطوال، ص 322.

2 - الأصفهاني ، الأغاني، ج11،ص47.الدميري، حياة الحيوان ، ج1، ص76.

3 - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص475.ابن خلدون ، المقدمة ، 173-174.

وظلت ولاية العراق طيلة العصر الأموي تشرف على عملية الضرب لتزود الدولة بما تحتاجه من العملة ، ففي عهد عمر بن عبد العزيز ضرب عدي بن أرطأة عامله على العراق عملة وكتب عليها (أمر عمر بالوفاء) فساء عمر ذلك وغضب فأمر بكسر هذه العملة وأن يكتب عليها (أمر الله بالوفاء والعدل)¹.

وفي عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك قام واليه على العراق عمر بن هبيرة بتجديد العملة فسكها من الفضة الخالصة ، وفي عهد هشام بن عبد الملك فقام واليه على العراق بتجويد العملة وأمر هشام بان لا تضرب العملة إلا بواسطة ، وحرص وفي الغالب يبدو حرص الخلفاء الأمويين وعمالهم الذين يشرفون على دار الضرب بتجويد العملة وأن تكون مستوفاة الوزن والعين ، فقد كان الدرهم الخالدي وزنه 7 دوانق والدرهم الهيبيري يزن 6 دوانق ، كما شدد يوسف بن عمر والي العراق على تجويد العملة وتهدد كل من لا يلتزم بذلك من الطبايعين والعيارين (أصحاب العيار) بأقصى العقوبة ، لذلك كانت العملة الهيبيرية والخالدية واليوسفية أجود وأوفى نقود بني أمية فلاقت قبولا حسنا عند الخلفاء العباسيين فيما بعد فقد كان المنصور العباسي لا يقبل غيرها في الخراج².

4- العملة زمن العباسيين:

في بداية الحكم العباسي لدولة الخلافة لم يطرأ طراً تغييراً ملحوظاً على العملة الإسلامية فقد ضربت الدنانير على شكل الدراهم في عهد الخليفة السفاح وكتبت عليها السكة العباسية ، وما استحدث في ضربها هو ضرب أجزاء الدينار وهو النصف والثلث والربع للتعامل بها كما ضربت أنواعاً من الدنانير بأحجام وأوزان

1 - ابن الجوزي، مناقب عمر بن عبد العزيز، ص47.

2 - البلاذري ، فتوح البلدان، 474. ا الماوردي الأحكام السلطانية، ص147. ابن الأثير ، الكامل، ج4، ص173. المقريزي ، كتاب النقود ، ص45.

مختلفة في المناسبات المختلفة للصلة والإهداء في الأعياد والأفراح أو للتصدق بها في بعض الأحيان وسميت بدنانير الصلة لأنها اتخذت لصلة الأحباء والندماء وغيرهم¹.

كما اتخذت العملة كمجال ووسيلة للمناورات السياسية في العهد العباسي فقد ضرب الفضل بن سهل وزير المأمون سنة 200 هـ ديناراً ذهبياً قبل رجوع المأمون إلى بغداد من خراسان كتب عليه (ذو الراستين) كما كتب اسم أخيه الحسن بن سهل وأسقط اسم الخليفة متجاهلاً إيّاه رغم أنه صاحب السلطتين الدينية والدنيوية ، وهي اشارة واضحة كشفت ضعف الخلافة بفعل تداعيات

الصراع بين الأمراء العباسيين الأمين والمأمون على السلطة، كما كشفت الفترات الاستثنائية التي قد تقهقر فيها سلطة الخلافة العباسية سيما ما بين سنتي 198-201 هـ، ويذكر الطبري أن الخجستاني² صك العملة لنفسه فضرب دنانير ودرهم وكتب عليها (الملك والقدرة لله، والحوّل والقوة بالله، لا إله إلا الله) وعلى الجانب منه (المعتمد على الله باليمن والسعادة) وعلى الوجه الآخر كتب (الوافي أحمد بن عبد الله)³.

وكانت السكة في العصر العباسي مجالاً يتأثر بالحياة السياسية في الدولة ، ففي هذا العصر ظهر لأول مرة اسم ولي العهد مع اسم الخليفة ، فقد نقش هارون الرشيد

¹ - المقرئزي ، المصدر السابق، ص47.

² - ترجم له الذهبي بقوله:(جبار ، عنيد ، ظالم متمرد خرج عن طاعة صاحب خراسان يعقوب الصفار ، وتملك نيسابور وغيرها ، وأظهر الانتماء إلى الطاهرية ، وجعل رافع بن هرثمة أتابكه وجرت له ملاحم ، وظفر بيحيى ابن الذهلي شيخ نيسابور ، فقتله وعتا ، ثم ذبحه مملوكان له في سنة ثمان وستين تملك سبع سنين . ومن جوره : أنه لما غلب على نيسابور ، نصب رمحا وألزمهم أن يزنوا من الدراهم ما يغطي رأس الرمح ، فأفقر الخلق ، وعذبهم .سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، 2001 ، ج13 ، ص97-98.

³ -الطبري، المصدر السابق، ج9 ، ص600.

اسم ولديه الأمين والمأمون على السكة¹.

كما حدثتنا السكة العباسية عن الصراع الذي حدث بين الأخوين ، فقد ضرب المأمون سكة خاصة به لما كان في خراسان ونقش عليها اسم ولي عهد علي بن موسى الرضا حسب نص أورده السيوطي "وفي سنة إحدى ومائتين خلع أخاه المؤتمن من العهد، وجعل ولي العهد من بعده علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق... وهو الذي لقبه بالرضا، وضرب الدراهم باسمه وزوجه ابنته وكتب إلى الأفاق بذلك².

وفي سكة المستعين (248-252 هـ) نقش اسم ولده العباس، كما نقش المعتمد (256-284 هـ) اسمه واسم أخيه الموفق ولي عهده ، ولما تولى الموفق الخلافة نقش اسمه مع اسم ابنيه المعتضد والمفوض³.

كما عكست لنا السكة بعض فترات الضعف التي مرت بها الخلافة العباسية بسبب تسلط الأجانب أو بعض العمال والولاة على الخلفاء ، فبعد أن سمح بعض الخلفاء لعمالهم بنقش أسمائهم مع اسم الخليفة فحمل أولئك على الاستبداد فنقشوا اسمائهم وألقابهم على السكة لذلك ظهرت أسماء الأمراء البويهيين والسلاجقة التي تدل على مدى استحكام قبضتهم على مؤسسة الخلافة وهيمنتهم عليها⁴.

وتكمن أهمية السكة كمصدر من أهم مصادر التاريخ الاسلامي كونها بعيدة عن التدليس والذاتية إذ هي في الحقيقة لسان حال الواقع في الحديث عن الملوك

1 - القلقشندي ، المصدر السابق، ج1، ص41.

2 - السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص270.

3 - القلقشندي، مآثر الأنافة، ج1، ص30.

4 - السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص327.

والممالك وغيرها ، فهي من الوثائق الهامة التي تمدنا بالمادة التاريخية لذلك
فنصوصها لا يمكن الطعن فيها.

الجيش :

لم يهتد عرب قبل الاسلام الى تنظيم الجيوش كما هو الحال في العالم المحيط بهم ، إلا العرب الذين جاؤوا وعاشوا التنظيمات العسكرية عند الدول الكبرى مثل الغساسنة والمناذرة الذين حاكوا أنظمة الحكم عند البيزنطيين والفرس ، كما ان الحياة العربية البسيطة التي اصطبغت بصبغة البداوة كانت بعيدة عن مظاهر أنظمة الحكم فضلا عن اتخاذ الجيوش للقتال ونحوه.

2-الاسلام والجهاد:

ظل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام والتوحيد ثلاث عشرة سنة اعتمادا على الحجة والبرهان ومخاطبة العقول بالموعظة الحسنة ، واحتمل الكثير من الأذى والشدائد من قريش متحمليا بالصبر وحسن التوكل على الله ، فأمن به نفر قليل وكفر به وعداه أغلب المكيين .

وبفضل المحاولات العزم والصبر في سبيل الدعوة الى الله يسر الله له بأن يجد من يصدق بما يدعو إليه خارج مكة بعد بيعتي العقبة الأولى والثانية من قبل الأوس والخزرج ، فتطورت ثمار هذه الدعوة التي توجت بانتشار الاسلام في يثرب وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها وقيام دولة الاسلام بها لتتحول إلى مدينة رسول الله عليه السلام، ودار للإسلام.

ولما ظلت قريش على غيها وبغيها ومعاداتها للنبي عليه السلام ونقلت أرض المعركة مع المسلمين على المدينة ومحيطها من خلال التحالفات والديسائس التي ابرمتها مع الأعراب حول المدينة ، أمر الله تعالى نبيه بقتال المشركين وجهادهم وان يقاتل هم ومن معه من المؤمنين في سبيل الله.

3- أغراض الجهاد:

شرع الله تعالى الجهاد لأمر منها:

1- الدفاع عن النفس برد المعتدين والبادئين بالقتال والشر من المشركين والأعراب الذين لم يستجيبوا لدعوة الاسلام.

2- تأمين الدعوة الاسلامية من كل خطر يتهدها، وقتال كل من يقف في طريقها، حتى لا يخشى من يريد الدخول في الاسلام الفتنة على دينه، لذلك لما تحالف أهل مكة مع غيرهم من العرب على قتال المسلمين ، ونقض يهود المدينة الهد الذي أرمه معهم النبي عليه السلام، وتحالفوا مع المشركين المكيين أمر الله تعالى نبيه بقتالهم.

4-الجيش في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين:

لما جاء الاسلام وألّف بين قلوب المؤمنين ،وبدأوا يقاتلون في سبيل الله لنشر الدعوة الاسلامية وبدأوا بالدعوة الى الاسلام في من حولهم وفي الجزيرة ومن حولها ،فشعر النبي صلى الله عليه وسلم أنه بحاجة إلى قوة لحماية الدعوة و قتال من وقف في طريقها فدعا أصحابه لذلك فكان التطوع اختياري.

فلم يلزم النبي صلى الله عليه وسلم أحدا بالتجنيد، فحضهم على القتال على القادرين منهم ، وقد وصف القرآن الكريم بعضهم (لو كان عرضا قريبا و سفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة)¹، ووصف القاعدين والمتناقلين فشبهم بالخوالف من النساء فقال الله تعالى(رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون)². لذلك فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول (لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد)وقوله(لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا أمس)، ويقصد

1 - سورة التوبة 42.

2 - سورة التوبة 93.

غزوة أحد¹.

ثم توج جهاد النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بتوفيق الله تعالى وحسن عونه بفتح مكة ودخول من كان على الشرك من أهلها في الاسلام ، فأصبح الوضع العام الذي صارت عليه دولة الاسلام أنه يمكن تشكيل جيش يعتمد عليه للحرب في حال النفير لذلك أَلَّف النبي عليه السلام فئة من المؤمنين على استعداد للحرب متى استدعى الأمر ذلك ، ومع ذلك لم تأخذ هذه الفئة صفة الجندية الإلزامية ، بل ظلت صفة التطوع هي الغالبة عليه².

وظل أمر الانخراط في فئة المقاتلين في عهد أبي بكر كما كان عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تطوعا وليس الزاميا ، وفي عهد عمر بدأت ارهاصات تشكيل الجيش الرسمي للدولة فأنشأ ديوان الجند للإشراف والتنظيم ، وبدأ نظام الجندية الاجبارية

في الدولة الاسلامية وحددت رواتب للجند تدفع من بيت المال³.

وقد كان القتال في عهد عمر رضي الله عنه يقوم على أساس من التقوى والإيمان والرغبة في الجهاد في سبيل الله لنشر الاسلام في كثير من الأقطار، فاستطاعوا فتح العراق والشام وفلسطين ومصر ، فأقام الجند في الأمصار في معسكرات خاصة بهم معزولين عن المدن المفتوحة ، وإلى عمر يرجع الفضل في إقامة الحصون والمعسكرات الثابتة لإقامة الجند للراحة والتهيأ لعمل عسكري جديد ، وقد كانوا يقطعون المسافات الطويلة على ظهور الإبل ولا يرتاحون إلا في أكواخ مصنوعة من سعف النخيل ، ومن ثم بنيت العواصم وأقيمت الحاميات في عدة

1 - الطبري، ج3، ص28.

2 - حسن الحاج، المرجع السابق، ص449.

3 - حسن الحاج ، المرجع السابق ، ص449.

أماكن لصد الهجمات المفاجئة ، وكان عدد الفاتحين عند فتح بابليون في مصر يتراوح بين 12300 و 15600 و 16000 مقاتل ولما ولى عثمان الخلافة وحدثت في عهده الفتنة ، وأدت إلى انقسام المسلمين إلى تيارات وأحزاب ، أصبح القتال في سبيل الدفاع عن الرأي الذي يراه كل مسلم ، وليس في سبيل نشر الدين مثلما كان الأمر من قبل¹.

5- الجيش في العصر الأموي:

ولما آل الحكم في الدولة الاسلامية إلى بني أمية ، أبقى الأمويون على السياسة التي بنى عليها عمر بن الخطاب الجيش ، لكن بعد أن استقرت الأمور السياسية لصالح الأمويين نهائيا انصرف الناس عن القتال ، الأمر الذي دعا السلطة الأموية إلى فرض الجندية الاجبارية لضمان استمرارية الاشتغال بالقتال على الجبهة الخارجية لاستكمال عمليات الفتح التي باشرها الأمويون ونشط فيها بعض الأمراء.

ونذكر أن عدد المجندين في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه نحو أربعين ألف مقاتل بين محترف ومتطوع ، واستعملت هذه الطاقة القتالية لمواجهة البيزنطيين ، منها حين حاول الأمويون فتح القسطنطينية على مرتين ، الولي في عهد معاوية والثانية في عهد سليمان بن عبد الملك ، ولما كان عهد عبد الملك بن مروان أدخل التجنيد الاجباري ، وظل الأمويون يعتمدون على العنصر العربي في تشكيلة الجيش ، ولما توسعت الدولة بفعل حركة الفتح الاسلامي ، وفتحوا شمال افريقيا وبلاد الأندلس فاستعانوا بالبربر في تشكيلة الجيش².

6- الجيش في العصر العباسي:

2- حسن ابراهيم ، المرجع السابق، ص، 179.

2 - حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي، ج1، ص478.

كان الجيش في العهد العباسي من أسباب قوة الدولة و ثبات أركانها ، وقد بلغ عدد الجند في عهدهم مئات الألوف ، وبلغ عدده في بغداد وحدها 125 ألف جندي ، وكان هؤلاء يمثلون الجيش النظامي للدولة تدفع لهم رواتبهم بانتظام ، ولما بلغت الدولة أشدها أصبح الجندي يتقاضى تقريبا 20 درهما شهريا ، وكان مع الجند النظامية فئة أخرى من المقاتلين المتطوعين من البدو وفئات أخرى¹.

وفي عهد الخليفة المعتصم سنة 218 هـ استكثر من العنصر التركي في الجيش لأن أمه كانت تركية ، وتزايد عدد الأتراك في الجيش العباسي حتى بلغ نحو سبعين ألفا، ولما تزاخم الأتراك مع العامة في بغداد بنى لهم المعتصم سامراء واتخذها عاصمة له.

7- أسلحة الجيش:

يتألف الجيش غالبا من الرجالة والفرسان ، فالمقاتلون الراجلون يتسلحون بالدرع والسيوف والقسي والسهام ، والفرسان يتسلحون بالدرع والسيوف والرماح، وقد كان العرب في الجاهلية يحسنون الرمي بالقسي ، وقد ساعدتهم هذه المهارة في القتال بعد مجيء الاسلام في العمليات الحربية خلال الفتح الاسلامي للبلدان ، فاستطاعوا قهر الفرس والروم لذلك كان القادة المسلمون يدرّبون المقاتلين على الرمي بالنبال فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم (أرموا واركبوا ، وأن تركبوا أحب إلي من أن ترموا) وقد جاء في الآية الكريمة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة)² وقال الرسول عليه السلام على المنبر بعد تلاوة هذه الآية (ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي)³.

1 - حسن إبراهيم ، ص182.

2 - سورة الأنفال ، الآية 60.

3 - حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي ، ج1، ص479.

ومن أسلحة القتال التي كانت تستعمل في الجيش الاسلامي:
أ-السيف:

السيف أشرف الأسلحة عند العرب وأكثرها غناء في القتال، يحافظ العربي على سيفه ولا يكاد يفارقه، وقد امتلأت بتمجيده أشعارهم، وجاوزت أسماؤه المائة في لغتهم. وهو آخر الأسلحة استعمالاً في المعركة بعد القوس والرمح، وذلك أن القتال يكون أول أمره بالسَّهام عن بُعد، ثم تطاعناً بالرماح عند المبارزة واقتراب الصفوف، ثم تصافحاً بالسيوف عند الاختلاط، ثم تضارباً بالأسلحة البيضاء، وخلصاً بالخناجر عند الالتحام والاختلاط¹، فهو الذي يحدد مصير المعركة، وعلى حسن بلائه تتوقف نهايتها. ويكفي لبيان فضل السيف قول النبي صلى الله عليه وسلم: (الجنة تحت ظلال السيوف)²

وسيوف العرب أنواع كثيرة تختلف باختلاف صناعاتها وأماكن صنعها. أشهرها: السيف اليماني نسبة إلى اليمن، والهندي أو الهندواني أو المهند، وهو المصنوع في الهند، وهو يلي اليماني بالجودة، والمشرقي المنسوب إلى مشارف الشام.

ب- الرمح:

الرمح أداة من أدوات الحرب، وهو عبارة عن عصا خشبية أو معدنية في نهايتها قطعة معدنية مدببة الشكل. وهناك نوع من أنواع الرموح الخشبية التي يمكن حدها بواسطة سكين أو أداة حادة لتصبح رمحاً بدون وضع القطعة الحديدية مثل عصا الخيزران. ولكن أشهر الأرماح المصممة لصيد أو القتال هي الأرماح ذات رأس معدني مثلث الشكل. يمكن تقسيم الأرماح إلى نوعين مختلفين: رماح مصممة

¹ - نهاية الأرب: ج 6، ص 238.

² - رواه الحاكم، شرح الجامع الصغير للمناوي: ج 1، ص 249

للقتال، ورماح مصممة للرمي، ومن اواعها: الرماح الخطية وهي أشهر أنواع الرماح عند العرب وأجودها، ودائماً ما كان العرب في الجاهلية وبعد الإسلام مايتغنون بالرماح الخطية في أشعارهم. وسميت الرماح الخطية بهذا الاسم نسبة إلى المنطقة التي تصنع بها هذه الرماح وهي الخط، والخط هي الاسم القديم لمدينة القطيف التي تقع شرق الحجاز.

وقد اتخذ الرمح من من الأشجار الصلبة كالنبع والشوحط وهو من الأسلحة التي قاتل بها المسلمون الفاتحون في حروبهم ، كما للرمح أطوال وأحجام مختلفة فالرمح القصير ما كان طوله أربعة أذرع وهو شبيه بالعصا وقد سماه العرب بأسماء عدة منها:النيزك ، والحربة والعنزة والمرزاق ، ومنه الطويل الذي يتراوح طوله بين أربعة أذرع وعشرة أذرع ، وقد سمي بعدة أسماء منها: المربعوع و الخموس والتام، وإذا كان مفرطاً في الطول سموه: الخطل قيل لاضطرابه في يد صاحبه¹، ومن المسلمين من كان يفضل القناة الصماء على الجوفاء ويدهنونها بالزيت لتحافظ على مرونتها ، كما استخدموا كذلك قناة طويلة في رأسها حربة ملتوية لنقب الجدران ، وقد ظل الرمح السلاح المستعمل في العصر الأموي والعباسي مع تعديل في تقنيات رمية والقتال به².

ج- القوس والنشاب:

اشتهر القوس والنشاب عند الفرس قبل أن يصبح من الأسلحة المتداولة في الجيش الاسلامي ، ويروى أنه من مهارة رماية الفرس به أن أحدهم كانت ترفع له الكرة فيرميها ويشكها بالنشاب³، لذلك اهتم المسلمون بهذه الوسيلة القتالية لتحقيق

1 - الجاحظ ، البيان والتبيين، ج3 ، ص19.

2 - المعجم الوسيط ، ج1، ص 84. دائرة المعارف ، ج16، ص699.

3 - الطبري، المصدر السابق، ج4، ص140.

الانتصار على المحاربين لهم ، ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى(وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة)¹، فسر القوة بالرمي ،لذلك كان عليه السلام يفضل الرمي على الركوب ، ومن ثمّ اهتم المسلمون بالتدريب على الرمي والاعتماد عليه في القتال حتى صاروا من أمهر المقاتلين فتفوقوا على الفرس في هذه التقنية القتالية.

والقوس يصنع من الخشب الصلب يحنى طرفاه بقوة ويشد فيهما وتر من الجلد وغيره ويتخذ معه صاحبه سهام للرمي بها من خلال القوس يحملها في كنانته وهذه السهام هي بمثابة الذخيرة للجندي،واعتنى المسلمون بصناعة السهام والقسي وطوروا فيها بعض الشيء فبعد أن كانت القوس متصلة الأجزاء قاموا بفصلها عن بعضها ثم ركبوها أجزائها وألصقوها بمواد لاصقة كالصمغ وغيره، وجعلوا لها مقبضا في وسطها ،كما طور في السهم وجعلوا منه سلاحا فتاكا فسقوا نصل السهم بالسهم².

د- الترس:

ويعرف بالمجن وقد عرفه المسلمون على غرار الشعوب الأخرى للاحتماء به من ضرب الرماح والسيوف ، ويعرف أيضا بالدرقة أو الحجفة ، ويصنع غالبا من الخشب ويغلف بالجلد ويرصع بالمسامير ، ثم أصبح يصنع من المعدن كالنحاس أو الحديد وله أشكال مختلفة منه المستطيل وعلى أحجام وأوزان مختلفة،فه صغير أو كبير وخفيف أو ثقيل³.

هـ- الدبابة:

كان العرب على دراية باستعمال الدبابة في حروبهم ،فكانوا يصنعونها من

1 - سورة الأنفال ، الآية 60.

2 - نهاية الأرب في فنون الأدب ،ج6 ،ص228. حسن الحاج، المرجع السابق، ص456.

3 - المعجم الوسيط ،ج1،ص84، دائرة المعارف ،ج16، ص522. حسن الحاج، المرجع السابق، ص455.

الخشب ويغلفونها بالجلود المنقوعة في الخل لدفع النار وتجعل لها عجلات لتسير عليها ، وهي أقدم من المنجنيق ،تستعمل للهجوم على الأسوار لمحاربة المحاصرين من أعلى السور وتهديمها كما يتخذونها درا للاحتماء¹.

وقد اعتمد المسلمون على الدبابة في حروبهم ضد البيزنطيين ،فكانوا يختفون في جوفها ويزحفون بها إلى جدار الحصن فينقبوه ، فقد استعملها العباسيون في فتح قلعة عمورية البيزنطية².

8- فرق الجيش:

كان الجيش عند العرب يتألف من المشاة والفرسان يحملون أسلحة خفيفة للقتال كالسيف والرمح والقوس والسهم ، ويلبسون الخوذ والدروع ، وظلت هذه الاستعدادات الحربية البسيطة حتى عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي عهده وجدت المدرعات التي استعملت المنجنيق والدبابات والضبور، وبتوسع الدولة الاسلامية وتطورها فتعددت أساليب القتال ووسائلها لذلك تعددت الفرق القتالية للجيش حسب تنوع الأسلحة وتخصص الأعمال، وكانت أشهر الفرق في الجيش:

أ-الفرسان:

وهي الفئة التي لا يمكن الاستغناء في الجيش وكانت سائدة في معظم الجيوش الاسلامية في العصور الأولى ، أما أسلحتهم فكانت أسلحة خفيفة كالسيف والرمح ، وكانت فئة منهم متخصصة في الرمي بالسهم ، وكان أكثر أفرادها في العصر العباسي من الخراسانيين أو من سكان شمال فارس المشهورين بدقة تسديدهم للسهم وإصابة الهدف على ظهور الخيول.

ب- المشاة :

¹ -جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، ص190.
² - أبي زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص161.

وتبدأ مهمتهم بعد أن يمهد لهم الفرسان أرض المعركة فيبدأون بالهجوم عقب هجوم الفرسان.

ج- الطليعة :

وهي فرقة من الفرسان الذين يرتدون الدروع والخوذ ،ويحملون الرماح المربوط على أسنتها باقات من ريش النعام، يتقدمون الجيش بأميال.

د- الكشافة :وهي فرقة متخصصة في عمليات الاستطلاع.

هـ- الحرص الخاص:لحراسة الخليفة أو الأمير القائد للجيش ، وكانت تستعمل غالبا زمن الدويلات المستقلة.

و-الغلمان: وهم الخدم الذين يقومون على خدمة الخليفة ،كما أنهم يتدربون على بعض فنون القتال.

ز-النشابون أو الرماة: وهم المهرة من الجيش في الرمي بالقوس وهو ما يعادل فرق القناصة في العصر الحديث.

ح-النفاطون: الذين يرمون النفط لحرق حصون الأعداء.

ك-المنجنيقيون: وهم رماة المنجنيق ويسمون كذلك بالمهندسين.

ط- العيارون:وهم رماة الأحجار من المخالي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: - المصادر:

- 1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مؤسسة الأعلمي.
- 2- النويري، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب.
- 3- المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير.
- 4- أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين.
- 5- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط.
- 6- السياسة لأبي بكر المرادي الحضرمي المتوفى سنة 489هـ، السياسة.
- 7- نظام الملك، الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي ، سياست نامه (سيرة الملوك)
- 8- ابن منظور ،لسان العرب، بولاق،
- 9- علي بن أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب السلفية.
- 10- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا.
- 11- ابن خلدون ، المقدمة، القاهرة، (د،ط).
- 12- ابن الجوزي ، الشفاء في مواظ الملوك والخلفاء.
- 14- صحيح مسلم ،دار الطباعة العامرة .
- 15- صحيح البخاري، باب الاستئذان، المطبعة الخيرية.
- 16- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي.
- 17- ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية.
- 18- ابراهيم م بن محمد البيهقي ، المحاسن والمساوي .
- 19- الماوردي ، الاحكام السلطانية.
- 20- أبو يعلى الفراء ، الاحكام السلطانية.
- 21- المقرئزي، الخطط.

- 22- السيوطي ، تاريخ الخلفاء .
- 23- الشهرستاني ، الملل والنحل،مصر.
- 24-ابن عبد ربه ، العقد الفريد.
- 25- ابن العبري(ت:685 هـ) ، تاريخ مختصر الدول.
- 26- المسعودي ، مروج الذهبومعادن الجواهر .
- 27- أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، أدب الكاتب .
- 28- اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.
- 29- محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة.
- 30-أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة.
- 31-الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك.
- 32-أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب.
- 33-ابن الساعي علي بن أنجب ، مختصر أخبار الخلفاء .
- 34-المحسن بن علي التنوخي ، الفرغ بعد الشدة.
- 35- الهلال بن المحسن الصابي، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء .
- 36-الحسن العباسي ، آثار الأول في ترتيب الدول.
- 37-قدامة بن جعفر بن زياد الغدادي،الخراج وصناعة الكتابة.
- 38- المقرئزي ، النقود الإسلامية .
- 39-أحمد بن يحيى البلاذري ، فتوح البلدان.
- 40- ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ.
- 41-ابن قتيبة ، الأخبار الطوال.
- 42- الأصفهاني ، كتاب الأغاني.
- 43- ابن الجوزي ، مناقب عمر بن عبد العزيز.
- 44- الذهبي،سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة.
- 45- مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط.

- 46- ابن قتيبة ، عيون الأخبار .
- 47- أبو اسحاق القيرواني، زهر الأداب وثمر الألباب .
- 48- ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية .
- 49- ابن فرحون ، تبصرة الأحكام في أصول اقضية ومناهج الأحكام
- 50- اسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية، دار عالم الكتب.
- 51- ابن القيم الطرق الحكمية في السياسة الشرعية
- 52- ابن خلدون ، العبر.
- 53- سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي ،البجيرمي علي الخطيب ،دار الفكر.
- 54-برهان الدين بن فرحون المالكي، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام.
- 55- منصور بن يونس بن ادريس البهوتي كشف القناع.
- 56-منصور بن يونس البهوتي ،البهوتي الروض المربع.
- 57- ابن عابدين ،حاشية ابن عابدين(رد المحتار على الدر المختار).
- 58-محمد بن خلف بن حيان وكيع، أخبار القضاة.
- 60-علي بن محمد الرحبي السمناني روضة القضاة،
- 61- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة .
- 62- ياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.
- 63-ابن فرحون ، جوامع العلوم والحكم.
- 64-ابن قتيبة ، أدب الكاتب.
- 65- الماوردي ، أدب الوزير.
- 66- المسعودي ،التنبيه والأشراف.
- 67- ابن نشوان ، الحور العين.
- ثانيا- المراجع:

1-حسن الحاج حسن ،النظم الإسلامية.

- 2- حسن ابراهيم حسن، النظم الاسلامية،.
- 3- حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي.
- 4- دائرة المعارف ،اللبستاني.
- 5- جرجي زيدان ،تاريخ التمدن الاسلامي.
- 6- أبي زيد شلبي ، تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي.
- 7- حسن الباشا، الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار.
- 8- أحمد رمضان ، الخلافة في الحضارة الاسلامية.
- 9- السيد عبد العزيز سالم ، العصر العباسي الاول.
- 10- الخربوطلي، غروب الخلافة الاسلامية
- 11- الخربوطلي ، الحضارة العربية والاسلامية.
- 12- الخربوطلي ، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي
- 13- سيدة اسماعيل كاشف ، الوليد بن عبد الملك
- 14- عبد العزيز الدوري، النظم الاسلامية
- 15- آدميتز ،الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري
- 16- الكرمللي ، النقود العربية
- 17- سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب
- 18- ناصر الأنصاري، تاريخ أنظمة الشرطة في مصر
- 19- شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الاسلامية
- 20- عرنوس ، تاريخ القضاء في الاسلام
- 21- الزركلي ، الأعلام
- 22- وهبة الزحيلي ، تاريخ القضاء في الاسلام
- 23- الخضري بك ، تاريخ الامم الاسلامية
- 24- تاريخ قضاة الاندلس
- 25- عبقرية الاسلام

- 26- البهي ، تاريخ القضاء
- 27- رابح أولادضياف ، الجراية في الدولة الاسلامية.
- 28- محمد الزاهي : الخلفية التاريخية عند المسلمين و أثرها في المدارس العلمية
- 29- حسين محمد سليمان، التراث العربي الإسلامي دراسة تاريخية ومقارنة.
- 30- أحمد أمين ،ضحى الاسلام
- 31- ابراهيم ياسين وآخران ، النظم الاسلامية
- 32 - أنور الرفاعي ، النظم الاسلامية

الفهرس العام

المقدمة.....	2-3.
الخلافة.....	4-12.
1-تعريف	
الخلافة.....	4.
2-الخلافة عند الأحزاب والفرق الاسلامية.....	5.
أ-المهاجرين والأنصار.....	5.
ب- رأي الشيعة.....	6.
ج- رأي الخوارج.....	6.
د-رأي المرجئة.....	8.
هـ-رأي المعتزلة.....	9.
3-شروط الخلافة.....	9.
4-ألقاب الخلافة.....	10.
5-علامات الخلافة وشاراتها.....	10.
العلامات.....	10.
أ- البردة.....	10.
ب-الخاتم.....	11.
ج-القضيب.....	11.
الشارات.....	12.
أ-الخطبة.....	12.
ب-السكة.....	12.

ج-الطراز.....	12.
الوزارة.....	17.-13.
1-معنى الوزارة.....	13.....
2-نشأة الوزارة وتطورها.....	14.....
الحجابه.....	25.-18.....
1-معنى الحجابه.....	18.....
2-الرأي في الحجابه.....	19.....
3-نشأة الحجابه وتطورها.....	21.....
القضاء.....	35.-26.....
1- تعريف القضاء.....	26.....
أ-القضاء في اللغة.....	26.....
ب-القضاء في الاصطلاح.....	26.....
2-القضاء عند العرب قبل الإسلام.....	27.....
3-القضاء زمن النبي صلى الله عليه وسلم.....	28.....
4-القضاء في العهد الراشدي.....	29.....
5- القضاء في العصر الأموي.....	30.....
6-القضاء في العصر العباسي.....	32.....
7- القضاء في المغرب والأندلس.....	34.....
المظالم.....	40.-36.....
1-تعريف المظالم.....	36.....
2-نشأة النظر في المظالم.....	36.....

- 3-مجلس المظالم.....37.
- أ-الحماة والأعوان.....37.
- ب-الحكام.....38.
- ج-الفقهاء.....38.
- د-الكتاب.....38.
- هـ- الشهود.....38.
- 3-صلاحيات قاضي المظالم.....38.
- 4-صفات صاحب المظالم.....39.
- الحسبة.....41.
- 1-تعريف الحسبة.....41.
- 2-الحسبة والقضاء.....41.
- 3-مهام والي الحسبة.....41.
- 4-شروط ولاية الحسبة.....44.
- أ-الإخلاص والتجرد.....44.
- ب- العلم والحكمة.....45.
- ج-الرفق والحلم.....45.
- الشرطة.....46-51.
- 1-مفهوم الكلمة.....46.
- 2-نشأة الشرطة في الاسلام.....46.
- أ-الشرطة زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين.....46.
- ب-الشرطة في العصر الأ.....47.

ج - الشرطة في العصر العباسي.....	48.....
3-شروط صاحب الشرطة.....	50.....
الدواوين.....	52-65.....
أ-المعنى اللغوي.....	52.....
ب- المعنى الاصطلاحي.....	52.....
2-نشأة الدواوين.....	52.....
3-تطور الدواوين.....	54.....
1/ديوان الجند.....	54.....
2/ديوان الخراج.....	55.....
3/ديوان الرسائل.....	55.....
4/ديوان الخاتم.....	57.....
5/ديوان الطراز.....	58.....
4- الدواوين في العصر العباسي.....	60.....
الكتابة.....	66-74.....
1-الكتابة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم.....	69.....
2-الكتابة في عهد الخلفاء الراشدين.....	69.....
3- الكتابة في العصر الأموي.....	70.....
4- الكتابة في العصر العباسي.....	71.....
5- الكتابة في عهد الطوليين.....	72.....
6-الكتابة في عهد الفاطميين.....	74.....
السكة الإسلامية.....	75-82.....

- 1-العملة زمن النبي صلى الله عليه وسلم.....75
- 2-العملة زمن الخلفاء الراشدين.....75
- 3- العملة في عهد بني أمية.....76
- 4- العملة زمن العباسيين.....79
- الجيش.....83-92
- 1-الجيش عند العرب قبل الإسلام.....83
- 2- الإسلام والجهاد.....83
- 3-أغراض الجهاد.....83
- 4- الجيش في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.....84
- 5- الجيش في العصر الأموي.....86
- 6-الجيش في العصر العباسي.....86
- 7-أسلحة الجيش.....87
- أ/السيف.....88
- ب/الرمح.....88
- ج /القوس والنشاب.....89
- د/الترس.....90
- هـ-الدبابة.....90
- 8-فرق الجيش.....91
- أ/الفرسان.....91
- ب- المشاة.....92
- ج -الطليعة.....92

د-الكشافة.....	92
هـ-الحرص الخاص.....	92
و-الغلمان.....	92
ز-النشابون أو الرماة.....	92
ح-النفاطون.....	92
ك-المنجنيقيون.....	92
ط-العيارون.....	92
قائمة المصادر والمراجع.....	93
الفهرس العام.....	98